التركواز الذي أفقدهم عقلهم

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

- **الكتاب: التركواز الذي أفقدهم عقلهم**
- **المؤلف: عتاب عوض**
- **نوع العمل: رواية**
- **الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م - القاهرة**
- **الناشر: بيلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**

بوك بوتيك للنشر والتوزيع - مصر

- **رقم الإيداع : 27748 / 2019**
- الغلاف: فريق تصميم بوك بوتيك
- تنسيق وإخراج: فريق إعداد بوك بوتيك
- تدقيق: آلاء سليمان
- المدير العام: جمال سليمان - ديانا حمزة
- العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة

عنوان (2): 38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة

- تليفاكس: 0020226061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201001201153
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: fb.com/bibliomania.eg/ & fb.com/bookboutique.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.bbibliomania.com & www.bookboutique.net

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار بيلومانيا للنشر والتوزيع

التركواز الذي أفقدهم عقلهم

رواية

عتاب عوض

www.bbibliomania.com
www.bookboutique.net

2019

الإهداء

لكل من حالفه الحظ وقرأ كراميل مر ثم حالفه ثانياً ليقرأ هذه الرواية
أراك من من يحترمون القلم
يومك هادئ مثل أنسجامك

عتاب عوض

المقدمة

الإختيار الخالي من لكي

لكي السببية أحياناً تكون كلمة منغصة مثل الشوائب أو نتوئات الملابس التي تجعلك تتركها رغم جمالها ،أحياناً يريد الإنسان أختيار الشئ لذاته فله متعة خاصة وليس مجبر على أختياره لسبب ما ؛فمرورك بمتجر لبيع الملابس وأعجابك ببدلة أو فستان فأقبلت على شراؤه غير كونك ذاهب لكي تعجب بفستان أو بدلة لأنك تحتاجه لمعاد ما فألاولى درجة أعجابك بنسبة 100%والثانية فلا تزيد عن 70%وأراك بنسبة كبيرة تقول (على كل حال سأرتديه في المناسبات وليس يومياً)،(أراه مناسباً) كي ترضى نفسك به على غير الذي هَمت من أمام الباب وتشبثت يداها بالفستان بدون سبب مُجبر.

هكذا أنت يا حامل الجاتوه وضيف الصالونات تتباهى بأحسن ما تملُك حتى تُقنع وتكون جيد للعرض تأتي في الوقت المنضبط ترتب قائمة أولوياتك وأمكانياتُك ليقبل بك ولكن هذا هو العيب الوحيد (الترتيب) فالقلوب التي صنعت لبعضها لا تنتظر كل هذه الترتيبات حتى تجتمع،لهفة الإنتظار تخيل الأوجه عند اللقاء وضع قطع الحلوى في طبق المنتظر لإنك تعلم انه يحبها ؛زخات العطر التي تعكس روحك وتربط بين القلوب كل هذا له طعم مختلف لا يناله رجل الصالونات الذي يتأبط زراع أمه وبالزراع الأخرى تظبط له البيبيون.

الأسكندرية(طريق المعمورة قديماً) أبريل 1952

بدأ الهواء يحمل ذرات الرمال يقذف بها في انحاء الارض ليشتت شملها كل واحدة لا تشبه الثانيه فلما يجتمعا! أراد صنع ثورة في نفوس البعض؛ لم يجد من ينسجم مع تناغمه فأعلن عليهم العصيان.

انقلب المظروف قبل ان تصل اليه اليد ذات الساعة السوداء الغليظة وكأنه يعلم ان الاجواء ثائرة لا ينقصُها ما يحمله داخل طياتة،مرّت اصابع تلك اليد علي الكلمات السوداء البارزة(ثالث بنايه يساراًحاره شوكت افندي) خُطف المظروف بما فيه داخل قبضة يد صاحبة تلك الساعة وأخُذت المفاتيح التي كانت ملقاه؛هرولت الاقدام علي سلم طويل مكسو بسجاد فخم حتي أن وصلت إلي سيارة لاتختلف في مظهرها عن البناء الذي هبط منه ذلك الشخص ،اشار بيده للسائق الذي كان ينتظر علامة علي عدم الجلوس في المقعد الخاص بالقيادة ؛جلس والقى بما كان يقبضةعلي المقعد المجاور و اختفت السيارة امام الغبار الذي حدث بقوة تحركها ولم يظهر لها أثر ، أمام العنوان المذكور وقبل البناية المذكورة بقليل ظل العجوز يرقد داخل سيارتة يطفئ السيجار من نافذه السيارة يتمني لو أنه وصل إلي العنوان الخطأ أو أن حالفها الحظ فتقدمت وتأخر ولم يراها، ساعه كاملة يتمني ظهورها الآن أو اختفاؤها للابد ،بدأت قطرات المطر البسيطة وكأنها تسقط بترتيب مدبر علي زجاج السيارة فاصبحت الرؤية غاشية الي حد ما ، فتح الصندوق المقبو وتحسس ما بداخله ربما يحتاجه ربما يحتاج سلاحه عندما ترد عليه ردود غير شافية له او مبررة لاختفاؤها بدا الهواء يجس وجهه؛ سيجارته اشتغلت اكثر وبدأت في التأكل حتي كادت أن تحرق مابين اصبعيه، عيناه لاتفارق البنايه المذكوره الي ان لمح طرف فستانها وكأنها تتردد في الخروج خرجت مسرعة والقت بنفسها داخل سيارتها الواقفه أمام المدخل وانطلقت سريعاً ما كان أمامه سوي ان يرفع

مسدسه ويقود خلفها لعل يصيبها بطلقة من زجاج نافذتها ويكون ذلك رداً علي السنه الكاملة السابقه ،بدأت الفتاة التي لم تتعدي 18من عمرها أن تلاحظ ملازمة تلك السيارة لها وعندما تيقنت من هوية الشخص وتأكدت شكوكها حاولت الفرار بالقيادةالملتوية والفرار في الازقه الجانبية وهي تضع يدها علي جانبها من الالم الذي تشعر به حتي وجدت نفسها تعبر من فوق ربوة عاليةوترتطم سيارتها من الجانب بصخرة بعد تدحرجها وتتوقف ،لثواني شعرت بأنها نجت من الهبوط من اعلي الربوة لتموت بالطلقه التي تلاحقها الا أن ما وجدته جعلها تضع يدها علي موخره رأسها من الصدمه صوت طلق ناري يدوي من بعيد ؛زئير قوي لعجلات السياره الملحقة بها ؛سقوط مفاجئ في المنحدر المجاور وتهشم السيارة كل ذلك في اقل من 15 ثانيه وهي تقف تنظر إلي قاع المنحدر دون أن تطلق صرخة واحدة أفقدت صوابها فلم تعد قادرة علي حمل جسدها الذى اللقت بة داخل سيارتها ثانياً فلم تعلم ما مصدر الطلقة التي أنهت به هل احد فعل ذلك لانقاذها ام تعاقب اخطاؤه فعلت به هكذا علي كل حال الارض لا تطيقني انا وجودت شاكر في نفس الزمان.

<u>جميع الاحداث القادمة في عام 1949</u>

بريطانيا(ديسمبر)الآن

-نسيت جواربك

چاك يقف منحني يجهز ما تبقى ويضعه في حقيبتة الملقاه على سريرة أنحنيت چوليت وهي تقف بجانبة لتضع حقيبة الجوارب داخل الاخرى فأصبحت عيناه في مواجهتها.

_حقاً لهذه الدرجة لم تريدي أي شئ يذكرك بأنني كنت هنا في يوم ما؟ أذ لم أعود لكم!

رفعت وجهها قبل أن تسقط قطرة من عيناها تدل على حزنها ،أشاحت بوجهها عنه فوجدت ماريان أبنتهما الصغيرة تقف في مقدمة الغرفة تنتظر رجوع والدها عن الرحيل الغير محدد موعد إنتهائه.

-بابا ذاهب أنت لتبحث عن چون لتعيده لعمتي؟

_ليس بالظبط ماريان لكن أعدك بأن كل شئ سيتغير عندما أعود ستجدين حالك في قصر ملئ بالزهور البرية مثل التي تزرعها عمتك ماريان من جديد.

أقترب چاك من وجهها وهو يحدثها كان يريد ملئ قلبها بصدق القول الذي لايوجد في عقل أحداً غيرة و حتى چوليت لم تصدقه وتأكدت أن خططه كانت غير محكومة في السنوات القليلة السابقة .

-ماريان أذهبي لعمتك وأيقظيها لان والدك يريد أن يسلم عليها قبل سفره.

سارت ماريان أمام والدتها ونظرت چوليت خلفها لچاك وكأنها توضح لة بأنها وضعته أمام الأمر الواقع في الذهاب الى أختة وتوديعها قبل رحيله ومواجهتها حتى ولو كانت لم تدري بمن يزورها الأن لعل تفتكر تلك الزيارة فيما بعد وتغفر.

رفضت چوليت كل ما يقوم به چاك في الاشهر السابقة ،رفضت إيداع چون وجاستين في السجن بعد موت والدهم ،رفضت ما يفعله بهم وعقابة لهم على القرار الذي أتخذوه بعدم التنازل عن مستحقاتهم المالية وقوله

أنهم مازالا لا يقوّا على تحمل مسؤولية المال وأن كل ما يعرفون فعله هو الذهاب لكازينو شاربل لتناول كؤوس النبيذ يومياً وإطلاقهم النار في الهواء عند إنتصاراتهم في أحدى قاعات القمار ،لم توافقهم چوليت أيضاً على ضياع ما أكتسبه والدهم من أموال تتذكر أصابة ذراعه في ماكينة تنعيم الجلود لصنع الأحذية يدوياً ،تحَمل رأئحة الألوان والورنيش التي ملئت رئتاة ،عيناه وهي ترى أحدهم يرفع قدماه ويضعهم على فخذه لتلميع حذاءه في بداية مشوارة في محل كان يدخل بة المار خطأً عندما يكون بين زحام فينحني جانباً ليجد نفسه بهذا وصل إلي نهايتة،كان توجية چون وچاستين هو الافضل وليس أخذ أموالهم.

عبرت ماريان الزقاق الضيق الذي يفصل بين بيتهم وبيت عمتها ماريان تؤام أسمها ،في كل مرة تعبر فيها تلقي نظرة من ما بين ثنايا تفعلها المسافات التي تقع بين البيوت و الشارع الرئيسي وتتمنى لو لم تكن أمها واقفة في الشرفة لعبرت من أحدي الثنايا لتعرف ما يدور هناك

الباب دائماً مفتوح ولكن لا يظهر ذلك حتى لا يتطاول أحد المارة بالعبث داخل حديقة البيت ،خطت ماريان بين ورقيات الريحان المزروعة بإصتطاف على جانبي المدخل حتى وصلت للباب الخشبي الذي لا يختلف كثيراً في طريقة فتحة عن الباب السابق

تعودت ماريان أن لا تصدر صوت عند الذهاب لذلك المنزل فالوضع لا يختلف حاله عن شيئان الاول نوم عمتها وتركها لإناء يقدح أي ان كان ما فيه والثاني هو أستلقاءها بأي مكان بالمنزل حتى ولو كانت الحديقة وبجوارها صورة چون وچاستين وكاسيت بة تسجيل لصوت أحداً منهم وصورة لزوجها قديمة في وقت تعارفهم.

فتحت ماريان الباب رويداً واللقت الكرة التي كانت تحملها في أرضية الصالة وسارت على أطراف أصابعها أن وصلت لغرفتها كما توقعت وجدتها مستلقاه

علي سريرها موقدة الشموع بجوارها حتي كادت الشموع أن تصل إلي المفرش الحريري الموضوعة عليه وتحرقة وقفت ماريان علي اطرافها في محاولة أن تصل أنفاسها للهب فتطفأه ثم صعدت على السرير الحريري العالي بجوار ماريان الكبيرة قبلتها وهمست في اذنها

-بابا سيسافر ليحضر لك چون وچاستين من جديد،ربما خاف عندما رفعتي صوتك بوجهه يوم أختفاؤهم.

بمجرد سماع الكبيرة لإسم إحداهما جعل دمعاتها تسيل أفقياً من زاوية عيناها وتذكرت ذلك اليوم.

{كانت في منتصف الليل جالسة أمام باب الحديقة مر ٣أيام ولا أحد يعلم مكانهم الاثنين معاً حتى خالهم الذي دائم القرب من رجال الشرطة لا يعرف كيف الوصول إليهم أو إلى أية اخبار حتى سمعت صوت الباب الحديدي يجز بالأرض العشبية.

-مين! وبدأت تقوم من مقعدها

_ششش أهدئي أنا چاستين

كان ملثم وجه وبذراعه علامة لجرح يبدو بدأ في الألتئام وضع يده على فمها وأخذ بها للداخل وأغلق الباب بعد التأكد من عدم وجود أي شخص يعرفة بالداخل.

-أين چون!ألم يحضر معك ؟أصابه مكروه؟ لماذا لم تكونا مع بعضكما كما تعودت؟!

-چون! الم يحضر چون لك منذ أيام؟!!!

وضع يده على رأسه يحاول استرجاع ما حدث في الثلاث ايام السابقة حتي يرتب الأحداث.

-هذا يعني إنك لم تعرفي شئ عما حدث لنا،عما فعله أخيكي عن....

-أخي كان يبحث عنكما طوال الا....

-ماذا!أخك كان يبحث!

وبدأ يضحك علي سذاجة السيدات الذين دائماً يصدقون أي أحد يقنعهم أنه يريد لهم الخير

-أخك أخرج أثنان مجرمين هجموا علي مجموعة من المجندين وجردوهم من السلاح ،أخرجهم قبل أن يعرضوا على المحاكمة ووعدهم بعدم الحكم عليهم اذ وصفوني أنا وأخي بأننا من سرقنا السلاح أما جون فاستطاع ان يهرب ساعة القبض علي في المحل القديم.

-الأن يبحث البوليس عنكما !ولكن أخي لم اصدق أنه يطيح بكما معاً ،يريد أموال يريد المنصب ولكن أبناء أخته الوحيدة هذا لا أصدقه سأذهب له الان و أوقظ قلبه،كيف له....

أمسك يدها ليمنعها من الخروج ثم وضع يده على فمها ثانياً

-ماذا بك،أنكشفت وضاعته يريد الإلقاء بنا في الحبس أو الإعدام لايهمه أمرك؛ فقط يريد الحصول على مال صانع الأحذية الذي كان يركله بحذاؤه في حياته ؛الأن يريد أمواله ولا يحصل عليها ستكون ممزوجة بدمه أذا اخذها ،أمي سامكث أيام في السرداب الخلفي لا ينبغي علي أن أفهمك ماذا تفعلين اذا أردتي حياتي وظهور چون وابقاءنا معاً نحن الثلاث}

عاد بها الى الحقيقة الخالية منهما معاً حضن ماريان ويدها وهي تمسح عن وجهها ،أشاحت الكبيرة بوجهها لتجد چاك وهو يحمل حقيبته ويدخل الغرفة تلحقه(چوليت)،تذكرت ما حدث داخل عقلها منذ ثواني ثم اللقت الكوب الذي بجوارها بما فيه في وجهه.

الاسكندرية في المدرسة الانجليزية للبنات 1949

-أعرفك على البنات قبل أن تنامي

-قالتها عايدة وهي تنتقل من سريرها لسرير رانيا في جناح المبيت.

-كلهم نائمات أظن ذلك

همست لها

_ولذلك أعرفك عليهم الأن وهم نائمون لتعرفي كيف ستتعاملين مع كل برنسيس منهم ،في علمك سيرهقك هذا (وضحكت) (لتعلمها أن لايوجد سواها لتعرف منه معلومات عنهم).

رانيا من عائلة لبنانية قرروا فجأة المجئ الي مصر وخاصه الاسكندرية لأنها تشبه بيروت الي حد كبير خاصه الملابس والهجة متقاربة وكثرة الاعراق بها فلم يشعر أحد بالغربة ولكي تحافظ عائلتها عليها وعلي ما تعلمته فضلوا إدخالها المدرسة الداخلية للراهبات ويرونها يومان فقط من كل اسبوع.

أكملت رانيا حديث عايدة وهي تلضم ضفائرها وتضعهم خلف خلاف حول رأسها وترفع حاجبها

_أعطيني نبذه عنهم

-أولاً أنا (عايده الغير مئلوف) لأنني أفعل كل ما هو غير مئلوف في المدرسة الناظرة هنا تمنع أدوات الزينة وقمصان النوم وفرد الشعر حتي في وقت المبيت فكل البنات طالبوا بنقلهم للعنبر لاني انا فيه هههه لازينهم وأستاجر لهم قمصان النوم

_اهاااا يحبونك لهذا!

_قال ينقصنا أبلة سوسن وتحكماتها الا يكفيها طرد جميع المدرسين وتركت لنا المدرسات فوق 60عام ،على أي شئ التي تنام هناك اسمها حكمت لا تختلف عن رئيسة الدور في خشونة صوتها

-و.....و أشارت رانيا على من تنام في السرير المجاور.

_تقصدين چيهان أخفضي صوتك فهي ليست نائمة ،لا تنام في اليومان التي يسبقا الاجازه

-اهاا تحضر للاجازه في الخارج؟

_ على أي أجازه تغمزين رانيا! ؛ستعرفين بمفردك چيهان ؛چيهان أبنة جودت باشا

-!!!!

_نسيت أنك لست من هذه البلد ،جودت باشا مسؤول كبير بالقنصلية البريطانية من صفاته لا يتحدث بلسانه ....بعيناه،عيناه تكفي.

_أُغلقت الإضاءة العامة في العنبر فانتقلت عايدة الي سريرها المجاور لرانيا مسرعة وغطست رانيا في سريرها.

_اهاا...لا أفهمكم أنا ؛أحتاااج وقت.

****

الأردن

الظلام هو مرقده ....عدم الوضوح هو الشعار الأمثل الذي يراه كظله في تصرفات أقرب الناس آليه ،أطفأ النور المحيط بالمكان وجلس على المقعد المجاور للباب واضعاً قدماه على المنضدة الزجاجية التي أمامه اغمض عينيه مستدعياً النوم حتى تسلل ضوء الشروق الى اطراف قدميه وتسللت أنفاسها حتى شعر بذلك

- رياض! أنت هنا منذ متى؟

ظل يتحدث وهو على ذات الوضعية

- من زماااان، لست هنا من زماااان منذ أيام اشارتك عني أني ابله وجعلتى رجال شحنة الاخشاب يهزون رؤوسهم كهذا أثناء التحدث معي والموافقة على كل شروطي وهم لا يسمعونني لان الكلام الحقيقي والقرار الذي يجب عليهم سماعة هو كلامك حضرة الوالدة.

رفث المنضدة الزجاجية باقدامه مما أدى إلى تناثر الزجاج في كل الأركان فشهقت الاخرى شهقة قصيرة لم تتوقع رد فعله

- اهدأ فقط يا أبني ،ماذا حدث لكل هذا؟

- ماوصلت آليه الآن هو سبب هدوئي فى السنوات السابقة وما افعله الآن كان يجب أن يفعله والدي قبلي،ماحدث هو أنك تفعلين معى كما الاطفال الذى يعطونهم سكين بلاستيكى يلهو به فيتوهموا أنه يقطع حتى ينتهون الكبار من التقطيع ويظل هو يتفاجئ ويشعر وكأنه فاشل لعدم أستطاعته عمل مثيلهم،جعلتيني أتفق مع الرجال ثم يأتون وياخذوا منك الكلمة الأخيرة ويعطوكي المال وهل يرضيكي الوقوف عند هذا الحد ؟! أبداً أخذتي منة وهديتي(حليمة) زوجتي ذهب ومجوهرات وأعطيتيها ما كانت تحتاج من المال وها أنا قضيت ليلتي هنا حتى أنتظرك تستيقظي لامد يدي وأخذ مصروفي لأنك نسيتيني (ضحك باستهزراء مما شعر به من ضعف) لماذا لم

تعطيني !؟ اممم تذكرت هذا عقاب اليس كذلك تحرميني من المصروف لهذا !كما كنتي تُحرضي والدي علىّ في الصغر بحرماني وتأتي أنتي وتعطيني حتى أظل اتمسك بالولاء اليك حتى سمعتك فى ذات مرة هههه،بعد ذلك سأحضر (بزين) أبني وحلمية نصطف هنا ؛هنا بجوار الباب وننتظر حفنه من المال كل شهر او اقول لك (اخفض صوته واقترب من اذنها)أعطيهم ل (حليمة) وأجعليها واصيه علىّ كما تراقبني وتعطيكي خطواتي

- حبيبي أت تغضب كوني أمك؟ أمك هي من تدير المواقف وتظبط لك حياتُك

- (بدأ يشق حنجرته اعلى من زى قبل)

-ومتى أظبُطها انا!!!

ولآخر مرة اقولك لك ستخرجي منها بتحكماتك....يا أخرج انا منها وللابد

- من أيام والدك وانا أُستشير في كل شئ ....في عقود....أتفاقات....مبالغ يتقاضاها هو و....

- بمزاجه بكامل ارادته هو....ولو كان يعلم انك ستجعلي مني مثل المعاق كان من المستحيل يعرفك أي شئ ولو نطفة عن عمله....هو السبب في كل هذا....انا لم أفهم عملي ....انا لن أختار حتى اسم أبني ...لم اختار أمه التي تنام بجواري ...لماذا!!! أنتم موجودين بحياتي كبقاع سوداء لاصقة .

كان يقذف بكل ما هو متاح للكسر وفي كل اتجاة متلاشياً أنه يرتضم بها ثم لطم الباب ذاهباً ومقرراً شئ بداخله.

*****

كانت تجلس مربعة أرجلها في فناء بيتها تضع النكهات الأضافية في برطمانات(الطرشي) هنا مخلل البصل(الاورمة) يحب الشطة الحارة وقرون الفلفل الاحمر الصغيرة ثم تغلقه فور أضافة تلك النكهات،هنا مخلل الجزر الصغير تم وضعه بدون تقطيع حتي لا يفقد فائدته يحب حبة البركة علي

الوجة حتي تلتصق بالغطاء ومن وفوقها (رشة) زيت زيتون،وهنا مخلل الزيتون ويحب تجميلة بكل ما سبق.

تقريباً أُم لاچين أول أمرآة تفكر في إزالة النواة ووضع سمسم وحبة البركة بدلاً منها ،أغلقت جميع البرطمانات ووضعتهم فوق(النملية)ذلك الدولاب المستطيل الصغير الذي أختلف الجميع في تحديد هويته ووظيفته هل هو للأواني دائمة الاستعمال أم لارغفة العيش الجافة وطبق الفول الذي يخرج فجأة عند حضور أي أحد جاء بين الوجبات لحين تحضير الوجبة الرئيسية أم لتخبئة بعض الالعاب المزعجة للاطفال (طب والله ما هدهالك) ونضعها فوق ذالك الدولاب الوديع في مظهره شرس قاسى من تعدد مهامه سماوي مزركش منسق أمام الضيوف كالست المصرية فى اول أيام الشهر فقط قبل أن تقبض المرتب من زوجها.

جاءت في بالها أم عاطف فزودت عدد البرطمانات لتأخذ أثنين لها من البصل والزيتون بعد المغرب وتذكرت أن تسئلها عن طريقة تلك الصوابع والبسبوسة التي أرسلتها لها في ذات نهار فالكل فى (حارة باب سدرة)يزايد في عطاياه دون النظر لمَن أعطي مَن فالكل له (نايب) مِن أكل مَن لا يعرفه.

سمعت صوت أقدام تصعد السلم الخشبي وقد أقتربت من الباب فازاحت بجلبابها لتغطي بة ركبتيها البيضاوية العارية ثم نفضت يدها جانباً في محاولة الارتكاز على يد واحدة لتقوم فاصدرت غوائشها صوتاً متناغم مع حلقها البيضاوي المفرغ السميك وكان ذلك الصوت أكثر ما يميزها.

-مين!

-أنا لاچين يا أُم لاجين حضرتُ وأحضرت معي البكالوريا بامتياز من مدرسة راس التين أحسن مدرسة فيكِ يا اسكندرية

-أصدرت أم لاچين (زغرودة) يهتز لها جدران الحي ولا تكتفي بذلك ففتحت النوافذ ليصل صوتها للأحياء المجاورة ليتشاركوا معها (الزغاريد) قبل حتى

أن يعرفوا السبب فالفرح عندهم ليس بالماظورة ، وضع لاجين الشهادة على رأسها وشرب ما وجده في كوب الشاي.

-أمي أتعرفي متى ستخرج چيهان أبنة خالي من المدرسة؟ اليوم الخميس.

******

وبمإن اليوم الخميس.....وبمإن جميع المشرفات تركونا اخيراً وذهبوا إلى منازلهم ثم خفضت عايدة صوتها وأكملت ماعدا خديجة ....إذن ....إذن فليعلى صوت الغناء من المطربة الواعدة رانيا!!!!

كانت عايدة تقف فوق كرسي مائدة الإفطار الجماعى وتطرق بالشوكة والمعلقة على المنضدة لتعطي إيقاع لكلامها وبكل اسبوع تفعل شئ مختلف فى المدرسة قبل ذهاب كل فتاة الي بيتها لقضاء الإجازة الأسبوعية

وأستغلت أنصراف جميع المشرفات وبقاء خديجة التي لا تكبرهم في السن كثيراً وصعدت فوق الكرسى الذى ظل يهتز وتحاول تثبيتة چيهان لتلقي عليهم خطبتها وتقرب رانيا من الجميع بمعرفتهم موهبة غناءها

-رانيا المايك معك ....صدعي أذننا هههه

-بشرط أن تشاركنى جيهان الغناء

-انا!! .....لم اجرب قبل ذلك...أو انى لا اعرف

علمت رانيا من قبل أن إجازة جيهان تختلف عن اجازتهم التى يفرحون بها وانها تعد ذلك اليومين ساعة تلو الأخرى لأنها لا تحب الوجود فى بيتها والمكوث مع كلاً من چودت شاكر وشويكار كما تفضل مواعيد الاستيقاظ والرسميات التي تتبعها المدرسة و تعشقها عن بيتها الكئيب

-أنا اخترت چيهان من يوافقني ؟

رفعت البنات يدها ما عدا سارة التي كانت تأخذ وضعها على كرسي في طرف المنضدة وعيناها تبلغ انها لم تستمع الى ما يدور بينهم ،وبدات رانيا باصدار كحة بسيطة وانطلقت فى الغناء

- يابدع الورد يا جمال الورد
من سحر الوصف قالو عالخد
الورد الورد يا جماله
الاحمر من بدعه وجد وهيام يالطيف
والأصفر من ريحته غيره وآلام ارحم م يارأيف.....
وشاركتها جميع البنات فى اغنية اسمهان مما شجع چيهان على الاندماج معهم
ظهر من بين صوت الغناء فجأة صوت تنهيدات بكاء صادرة من اخر المنضدة من تلك الفتاة التى تأخذ زاوية مختلفة عنهم
وكأنها طرقات مسمار فى قلب چيهان فاى صوت ينم عن حزن أو توجع لأحد يصل إلى مسامع چيهان قبل اى احد لوجود مكانه فى قلبها واعتادت على لحنه ،كانت سارة تبكى على الفقدان المهددة به من قبل عائلتها يلقونه على مسامعها فى كل إجازة إعلان عن قرارهم الذى سينفذ بعد انتهاء الدراسة ويعتقدون أن سعادتها بة وهى تتمنى وقوف ساعات العالم حتى لا يتغير شئ ويقف الزمن حتى أن وصلت بأن تظل المعلقة التى تمسكها الان معلقة بيدها ويتجمد الزمن وينتهى كل شئ على هذا الحال ،لم ترضى بقرار ترك وطن للذهاب الى مسمى لم يوجد له كيان بداخلها فالوطن هو من يحمل ريحتك هواء ينبعث من رئتيك وسيعود لها مهما دار عليه الزمن جزيئات ترددات ضحكك وبكاءك لا تزال، اشخاص اعتدت رؤيتهم بما يفعلون لك خير ام شر فحتى المشاكسة تحلوا إذ بَعُدَ المشاكس. .
-سارة مابكِ ....سااارة انتى مريضة؟
-لا....ليس بى شئ شعرتُ بضيق فقط
جذبت يدها وقامت من مجلس الغناء وجلست بساره فى مكان هادئ بعيدا عن الباقي

-أيوجد شئ حدث في عائلتك سارة؟

-يوجد عائلتي نفسها التى لا تفعل شئ مناسب لي يفعلون ما يناسبهم فقط ويعتقدون بي أنني قطعة أثاث تنقل ،أتفقوا على أن نذهب الى فلسطين ولن نعود .ودخلت في نوبة بكاء عنيفة لا تقوى أعصابها السيطرة عليها .

****

اللحم يغلي فى الاناء وكلما أنقلبت أجزاءه ظهر (الريبم)وهو ما يتخلص منه جزيئات اللحم عند الطهو حتى لا يفسد القدح وكانت تسحبه (أمنة)وتلقى به من النافذة وهي تشاهد أميمة وهي تقفز بين مربعات (السيجا)بحرس وهي كل مرة تراها فيها (أم أحمد) تقول لها جملتها الشهيرة مازحة

-عرفنا أنك أشتريتي لحم اليوم

-فترد عليها الاخرى ضاحكة

-عقبال عندكم

كانت أميمة ذات ال 15عام تتشاجر مع اللاعبة معها على حساب المربعات كونها لم تلمس قدمها أية مربع بخلاف ما تقوله الأخرى حيث صمتت فجأة عندما شاهدت ما يقف بالنافذة التى تركها وهبط ليهُم بفتح محال والده ذو الباب الخشبى الذى يميزه تحوله لمظلة فور فتحه للخارج وتثبيته أفقياً بعمودين من الحديد ليأتى الرجال والشباب يتناولون شاي الصباح وقراءة بعض الصحف لمعرفة ما حدث في الديوان والقصر الملكى وضرب كفوفهم ،أكملت لعبتها وهي تقفز وتقفز معها جديلتها التي تصل لاسفل الكتف وعصام يشاهدها من داخل الفتحة الصغيرة التي يعطى منها طلبات الزبائن من داخل المحال تمنى ولو ذهب ليلعب معها ولكنه تذكر لقب (توتو) الذي أطلقة عليه والده وجعل الزبائن تردده ليجعله يكرة اللعب من تلك النوعية حتى بدأ في تعلم (النشان)والصيد بالبندقية والذهاب في مركب صيد يوم الجمعة حتى أن فشل في تعلم أحداهم نجح فى الآخرى.

-أميمة كفى لعب.....أريدك

-أتريدي شئ من دكان عم (ابى عصام)

-لا تعالي،سحبتها من يدها الى داخل الغرفة وفتحت درج دولابها وجعلتها تجلس بجواره على الأرض

-فكي لي ضفيرتك

-ستصنعي لي غيرها ....أريد واحدة مثل التى ت.....

شعرت وكأن شئ يجز شعرها قبل أن تكمل جملتها ووجدت ضفيرتها الصغيرة بيدها وضمتها الى صدرها وأمسكت باليد الاخرى ما تبقى برأسها وأنهالت فى دموع يتخللها شهيق وزفير متلاحق

-شعري .....شعري انا ما صدقت أنه طول

-لماذا تحبيه يطيل؟!!؛ هذا أفضل فالشعر الطويل يربك أثناء اللعب

-لكن انا كرهت شعري بهذا الشكل

-شششش ،ضربتها بكف يدها على موخرة رأسها ،يكفي أخفضي صوتك لا أحب سماعه؛ صوتك جهوري مثل ابيك لا يرحمة الله

أكملي لعب ولكن لا تلعبي أمام عصام لانه يقترف من البنات ذوات الشعر القصير مثل الاولاد.

نادية.....نادية

-أين هذة التي وقعت على أذنها!

-أنا هنا جيها...أقصد شويكار هانم

-أربع ساعات بالطابق العلوى لماذا؟ماذا تفعلين في كل هذا الوقت!

-في غرفة جيهان هانم ،(أسطي دسوق) ذهب لاستقبالها وهو عند المدرسة من الصبح.

-آهاا ،كل هذة الضوضاء لان اليوم الخميس ! ٤ساعات في غرفتها لتوضيبُها ،الخدم كله بالاسواق لذلك الأمر

أقتربت أمام نادية وخبطت بعكازها على الأرض وأكملت حديثُها
-الايوجد أنا!لا أريد الذهاب للكوافير قصة شعر جديدة ،لون مختلف ،طقم جديد لاحتفال !
خبطت بجانب عكازها ثانياً ولكن بكتف نادية
-هيا...هيا أحضري حقيبتك وما تضعية دوماً على وجهك تأخُرت على مواعيدي .
(ولو كأن من ستخرج من المدرسة بعد ساعتان ليست بنتُها)
-بماذا تهمهمين؟ كلبة صغيرة،أسرعي
كان من وقت للآخر يظهر لشويكار هانُم العرق التركي والصرامة وجمود القلب في أي شئ يخص چيهان أبنتها فالاهتمام الزائد بالابناء يعطيهم فرصة للعصيان ذلك من وجهة نظر شويكار هانم.
تفكر نادية دوماً في ذلك البيت الذي لايشابه نظامه مع عقل أصحابه أبداً ولا يشابه ضيوفه وقاره والاثنان لا يشبهون (چيهان) أخذت زهور الاوركيد البيضاء التي تهيم بها چيهان منذ أن عرفت أن الاوركيد تعني الجميلة وشعرت أنه شعار لها في هدوئه وأزاحت الستار الشيفون عن البالكون ووزعت الازهار على السلال المعلقة وتوجتهم ببعضاً من الورقات السماوية من زهرات السوسن الذي أحضرتهم أمس من (باڤيون دي فلوريل) بالحي الاتيني ،أطلقت زخات عطر من العطر المميز لچيهان وأغلقت الباب فور ذلك حتى تحكم(التوليفة).
أخذت(اليشمك)وأحكمت ذلك الشكل الأسطواني على أنفها وهبطت الدرجات واحدة تلو الأخرى حتى لا تنال قسط التوبيخ التركي من شويكار هانم أمام السائق .

******

كان مستلقي على ظهره يفكر بها وهل له حق فى ذلك ! غريبة العادات والتقاليد التي تقيس كل علاقاتنا بالفقر والغنى ولا تفكر بدرجة التعلم والأخلاق ،أشعر بإن قلبي يخجل من ما يدور به .

هل تقبل أبنة (جودت شاكر) بعزومتنا ؛هل تقبل بحفلة أمي الصغيرة بمناسبة حصولي على البكالوريا وتقديمي في الحربية أم سترفض لانها ستقام فى ركن من سطوح يحتل الجزء الآخر منة بيت صغير لتربية الدواجن وأخر يجاوره الحمام ام لأنها تعلم إن بدون اسم والدها لم أستطيع دخول الحربية وأن أمتيازي وكفائتي مكانهم على ورقة داخل (نملية) أمي أو داخل عقول بنات الحى اللاتي يحلمن بأحد في عائلتهم حاصل على تلك الشهادة ،أحطم انا حبي وطموحي بتفكيري اليس كذلك!

نهض وازاح تفكيره من عقله ،فتح دولابه الذي يقاس طوله عند رأسه وأخذ بنطال بنى اللون وقميص أبيض مقلم فى رملى وفرك قطعة مسك أبيض بمعصم يده من الداخل حتى تدوم رائحتها مع كل نبضة

-الي أين لاچين؟

-مشوار صغير يا أمي

-أرتشف من ماء الزير الموضوع بجوار المنزل ثم أسرع في مشيتة حين رأي الترام يتحرك خارج من المحطة ثم قفز متعلق بأحدى السنادات الحديدية

-شهراً كامل لم يذهب عند المدرسة ولا ينتظرها خلف أحد السيارات الراكنة هناك أو عمود نور أو مدخل منزل حتى يراها من زاوية ما ،متى يأتى اليوم الذي أظهر فية بكامل جسدى واكون انا من يقود السيارة وافتح بابها لتجلس بجوارى بدلاً من (الاسطي دسوق) أغار كثيراً منة ياليتنى كنت سواق عند عمى ،كادت أن تتحرك شفاة ويحدث نفسة أمام الجالسين فى عربة الترام ،أقترب منه (الكومسرى) بجرسه وهو يضع القبعة جانباً على رأسة ويدخر السجائر خلف أذنه

-المحطة ....المحطة نازل يا أفندى؟

-نعم

-أقف على الباب

حتى حيّ مدرستها انظف من المنديل القماش الذي أضعه في جيبى والذى تحاول أمى جاهدة لتجعله أزهى فى كل مرة بسكب نصف كيس من المسحوق المبيض حيث تقول لى (الأفندى) يحترمه الناس من نصاعة طرف منديله الابيض .

توارى بجانب أحد المبانى عندما رأي السيارة المنتظرة وشاهدها وهى قادمة من الداخل بفستان ابيض ينسقة وردات البنفسج وشريطة شعر من ذات اللون وتحمل في يدها شنطة صغيرة بداخلها ما تحتاجة طيلة الأسبوع وباليد الآخرى حقيبة الكتب الدراسية المستطيلة السوداء ذات اليدالصغيرة كان يسير بجواها صديقتان يظهر عليهم ذات الجاة وكأنها ملكه محاطة بوصيفاتها .

مر أمامها بسرعة عند مدخل الباب والقي امامها ماكان يحملة وثقل في يدة وهى وردة محاط عنقها بورقة ملفوفة بأحكام وتمنى أن تراها قبل نزول عم دسوق ويحمل عنها ما يجب أن تحملة ،نظر خلفة فوجد أحدى الوصيفات أعطتها لها وهي تقول

(هذا الذى لم ينتظرك احد!)

****

الأردن

نظر للصورة الساكنة داخل البرواز لمجموعة من السعداء يضحكون ينتصفهم هو وهو يضع يدية على أكتاف طفل صغير لا يتعدى عمرة السنة والنصف

-وكأنى لم اعلم كيف وصلت لزمن هذة الصورة ومتى تزوجت من من تقف بجوارى وانجبت من أقف فى ظهره ،لم الحق لأعد عمرى الذى مضى واتذكر طفولتى الا وبدأت لى أمى حياة جديدة خططت لها منذ زمن لتربكنى ،مافات يوم الا وتمنيت بأن تكون تلك الحياة ما الا لشبية لى ولا تخصنى وان جئت بالخطأ لتلك العائلة وسأعود عندما توقفت حياتى عند 19عام وإن ال 7أعوام التى مضت لم يمروا على الاطلاق

وجد اقدام صغيرة ملساء تقف على اقدامة وتشب لتمد يدها داخل جيبة وتخرج العملات الصغيرة وضع يدة داخل خصلات شعر(زين) الصغير ثم حمله وخرج بة ناحية البحيرة التى تحتل المركز من الهضبة الخضراء التى يتوجها بيتهم الصغير وتكعيبة العنب الكبيرة بجوارة ،وضع (رياض)زين على كتفاة ليستمتع بالقاء العملات من أعلى في مياة البحيرة ونظر لما تفعله المياة ؛كلما ارتمت داخل قلبها عملة معدنية تصدر ترددات موجية حولها مثلنا تمام كلما القى بداخلنا ثقل تصدر ترددات الغضب على كل من حولنا ويزداد عبئهم عندما يعتقدون أن غضبنا ماهو الاتكبر يصدر فى هيئة غضب ،بدأ يتحدث بصوت عالى ليغلب على صوت الهواء واوراق الشجر التى تتلاطم ليجعلوه يتحدث وهو مبرر لصوته الصارخ

-ماذا تتمنى وانت تلقى العملات؟

-اممم عملات معدنية كثيرة

-لماذا!التلقيها في الحيرة هههههه

-هههه لاصبح غنى مثلك

- ولكننى فقير اتعرف ذلك؟!

-لا ،تقول جدتى دوما لى اكبر بسرعة لتمسك باموال والدك لأنها كثيرة

-وها هى تلقى فى الحيرة الآن هههه،ماذا لو تركتكم وتركت عملات كثيرة كهذة وذهبت أاتنتظرنى؟!!

-أمى سنتظرك ولكن انا سأتى معك وآمال برأسة ليقبل رأس والدة.

******

بريطانيا:ماحدث منذ ثلاث شهور(سبتمبر)

#سبتمبر

كان يلتف حولة فى ظلام لا يجعلة يقوى على رؤية كف يدة حتى صار على أطراف المدينة لا يوجد غيره هو وكلب يعوى وكانه يدل علية من يبحثون عنة حتى أستند بظهره الى أحد الحوائط وجلس لحين ظهور خيط من صباح اليوم التالى وضع يدة جانباً واذ هو يجد فتحة لا تدل الا علي صنعة فئران ويعلوها باب خشبى حاول رفعه وإذ هو بباب سرى لأحد ورش الحدادة دخل إلى ما حيثما يجد ونام خلف أحدى الالات التى وجدها حتى فتح عيناة على حذاء عالى يقف أمام وجهة ويد تقبضة من رقبته

- لص ثانياً أصبح لصوص المنطقة اكثر من جرادها

-انتظر ،انا لست لصاً أانا فقط كنت فى المستشفى وبعد شفائى تم اللقائى بالشارع ولم اتذكر اى شئ عن نفسى

ارتاحت قبضة يده وهدأ حاجباة وبدأ يستوعب الحديث

-ولماذا هنا بالتحديد ؟

-قادتنى قدماى ثم وجدت ذلك الباب مفتوح -----هل بامكانى الذهاب؟

كان يهتز أمام ذلك الرجل الضخم ويرتجف صوته

ارتاح الرجل في جلسته

-لديك أية مكان لتذهب الية أم ستبحث عن محال أخر تدخله كهذا !ياا...ماأسمك أم نسيته!

-.....چون

-اذ لا يوجد أحد تهرب منة أو فعل أجرامى ارتكبته فانا كنت أبحث عن ما ينظف هذا المكان وأعلمة الخراطة

أبتسم وجهة مع خوفه أن أحد يتعرف علية في هذا المكان أو تبحث عنة الشرطة ولكن لحين سيبقي مع ذلك الرجل المخيف

-أنا معك في كل شئ

فى اكتوبر

منذ شهر عندما عملت عندك كنت قد تعاركت مع چاستين اخى على قنينة خمر صغيرة كنت أخذتها خلسة من حانة رودلف وهو يجهز للغلق وذهبنا لمحل والدى القديم وأغلقنا من الداخل ،رئاها أخى وكان يكرة أفعالى هذة مع أننا كنا لا نعمل في ذلك الوقت ،قذف بى حتى صُدم ظهرى كدت أرفع نعل من نعال أبى الذى كان يصنعهم ولكن احتراماً لبصمات ابى تركتها ودخلت المخزن مع قننينتى ،نصف ساعة وطرقات كادت تهدم المحل بما فيه شعرت بأن چاستين نائم ولكن مايحدث لا يوجد من لا يسمعه تذكرت في لحظة قنينة الخمر شربت منها ما تبقي والقيت بها واحكمت اغلاق المخزن على فلا أحد يعرف أن يوجد مخزن من الاساس ولا نحن الا عندما فاجئنا أبانا بة ،زادت الطرقات وفتح چاستين وجدهم أثنان أمامة رأيتهم من ثقب الحائط

- أنت الذي كنت بحانة رودلف من ساعة ؟

شعرت حينها أن رودلف أبلغ عنا بحق قنينة الخمر ولكن سمعت أحداً منهم يقول

-اليس هو؟أتسرق سلاح رجال الشرطة

كانوا ينظرون في وجهه ليتاكدون من ملامحه شعرت بإن يوجد خطأ ما أو يوجد خطأ في البلاغ

- أين شريكك؟

هنا علمت أنهم متأكدين من شئ ما حتى ولو كان خطأ كان چاكسين ولو كأنه مازال نائم ينظر خلفه وشكرت الله انة لم يناديني فتحت النافذة التى تطل على مقلب القمامة وتركت كل شئ علي ما هو وظللت أجري ويلاحقني ظلي حتى جاءت قدماي الى هنا وانت تكمل ما حدث ألى اليوم .

خرج مارك ذلك الرجل صاحب الحاجبان الشقراء من صمته وتحدث بصوته المتقاعد الذي يجب له ان يصمت بدلا من أخافة المارة من حوله.

-وما الذي يجب عليا فعله لك يا چون! أتريد إرسال أموال لامك؟

- أرسال شخص يبحث عن أخي ويطمئن أمي علىّ

- سأدبرها لك مع أنني أشك في أمر ما.

في صباح اليوم التالي أوفى الرجل بوعده وأرسل ولد صغير الى العنوان ليطمئن چون على أمه وليعرف حقيقة مجيئه وهل ما حكاه حقيقي عن القبض على أخيه چاستين وهروبه هو وصولًا لعمله معه في خراطة المعادن، في الوقت الذي كان يدور الكلام داخل عقل المعلم مارك كان المرسال قد وصل بالفعل إلى الحارة المراد الوصول إليها .

اخذ الولد حذره بمراقبة النظرات وترقب بعدها عنه حتى أن وصل للبيت المذكور معه بالورقة كان يطرق تارة ويقف بجواره كانه ينتظر أحد تارة أخرى إلى أن فتحت لة (ماريان) فمر من تحت ذراعها واغلق الباب خلفه

-هل لديكي أولاد؟

- حبيبي أتمزح معي! اذهب و....

ضغط على الباب التي كادت أن تفتحه لطرده ثم قاطع حديثها

-هل تبحثي عن أبنك؟

-چون!....وضعت يدها على فمها بعد أن أنتبهت انه أوقع بها فى الحديث

-لا تخافي ...انا جئت من عند چون أبنك، هو بخير فقط يريد أن يطمئن عليك ويعلمك بما حدث في الشهر الماضي ومكانه، أنتبهي لا احد يعرف مكانه سوى أنتي الآن.

أخذت منه ما ارسله ابنها ولم تبوح بأختباء چاستين داخل البيت راقبت الجو بالخارج ثم صرفته الى ما حيث آتى

أسرعت الى چاستين ركضاً على السلم الحديدي لتقول له ماحدث فوجدته أستمع لكل مادار ثم طلب منها أن تقرأ له ما بداخل الجواب :

{انا صاحب العمل الذى ابنك يعمل به الان أطمئنك عليه واترك لكي العنوان ولكن لاتخبر به ولو لاقرب الناس لكي ،ماحدث لابناءك ليس بعيد الشك عن المقربين.}

رفعت رأسها خجلاً بعد قراءة الجملة الأخيرة ورأت نظرة الانتصار في عيون چاستين الذي أكد لها أن مصدر كل ماحدث لهم هو أخيها چاك وها الآن رجل غريب يشك بذات الملعون الخائن للقرابة مع أنه لم يرى أحدهم ولا يعرف چاك سوى من حكايات بسيطة ربما حكاها له چون

- ربما كنت مخطأة في تقييم اخلاق أخي يوماً انا أسفة چاستين أسفة لما تتحملوه الآن من مساحة أعطتها لچاك وسماح له بالتدخل فيكما في الأعوام السابقة

-الاعوام لا تعود أمي ،أبانا لم يعود وربما لم نتجم....

-لن تكمل چاستين ....سنكون جسد متلاحم نحن الثلاث ولم ينتصر علينا أحد

-أمي نحن هاربين في نظر الشرطة صراعنا ليس مع چاك الآن أنتصارنا هو أن نبتعد انا وأخي باقصى سرعة وان تظلي علامات الاستفهام الحائرة على وجهك حتى لا يكتشف أحد انك تعملي عننا أي شئ لم أعرف ما سيحدث لك إذ علم أحد

-ستذهب لاخيك وتتركني....أعود لقلي مثلما شعرت من قبل لافقد الامل فيكما هذه المرة

-ساذهب لنفكر معاً هنا لن يستطيع أحد التواصل وإرسال المراسيل سيكشف كل شئ اهدئي وتحدثي مع الرب.

نوفمبر

اقترنت حياة چاستين بچون من جديد ولكن غلب عليها العقل والخوف من وعلى من المجهول وعلى كل شخص منهم وخاصة أمهم التى يرسلون لها أشخاص يلقون نظرة من وقت لآخر ويعودون بشرح لحالتها ليس على ما يرام ،تقرب منهم مارك أكثر وظهر لين قلبه ومحبته لهم كابناءه الذي حُرم من إنجابهم يوماً ويئس، مر شهر على الطفل المرسال الذى جلب چاستين الى مكان أخيه ومن ثم دفع مارك أموال ليغير لهم بعض الاوراق وتمكنوا من العيش بقليل من الأمان .

سحب چاستين كرسيه وجلس أمام مارك ليتحدث معه بأمر جعله لاينام طوال الليل

-سيدى مارك.... هل تعرف أحد يريد شراء محل أحذية بادواته

-لم أعلم ولكن إذا أردت علمت

ضحك چاستين على قدرة هذا الرجل على فعل كل شئ باشارة من يده هالقدر يحمل مارك حصاد ماقدمه للكل لهذا ينفذون أوامره!

....تريد بيع محل والدك و...!ماذا ستفعل ؟!

-نذهب الى أي بلد ثم ناخذ أمي بعد ذلك ...هل يرضى ربي أن نكون أصحاب أملاك ونلتقط اللقيمات مثل الفئران .

-هل أرسلكما الرب لتخليص ذنوبي....أعلم انا هههه.

****

فوق رابية عالية بالمنتزة نُشر فوق إنحدارتها حبوب للطيور البرية حتى أصبحت ملتقى حمام سهل صيده ومتعة جودت شاكر التي يفعلها لتفريغ الشحنات المكتظة بايونات عدم الانتصار في شئ ما.

ذود طلقات الرصاص ببندقية الصيد وجهزها ليصيد طير كتب له ان تخرج أنفاسه الاخيرة على يد جودت ،واصابة من أول طلقة محاولة

- قنااااص....قنااااص طول عمرك ياباشا ،لم تترك لنا شئ

- اتعلم ياملاك لكي تصبح قناص في أي شئ أبتعد عن تقليدك لي لانه لن يجعل منك هههه.

كان چودت يحب الصيد ....صيد مايجده أمامه طيور...فرص...مشاريع و سيدات يملكون مصالح أن وجد ربما لم يترك شئ لأحد سوى بواقي فتات فرص يتصارع من حوله للإلمام بها وهم يعلمون أنهم خيوط لعرائس من السهل استبدالها لإكمال العرض

- واخيراا واحدة ...أصبت

- وها أصبت بأخر اليوم ياملاك حتى لا تحمل فى نفسك شئ هههه .

(ملاك هو السكرتير الخاص لجودت شاكر بالقنصلية البريطانية ،يصطحبه معه بجميع المهام حتى الترفيهية)

- سأنتظرك تكون أول الحضور في السرايا ومعك مفيدة هانم طبعاً

خلع ملاك قبعة الصيد وأثنى عليه

- الم تقل أن هذه الاعياد لا محل للنساء بها

- أتحلى بدونهم؟ ! الاحتفال بسرايا زيزينيا انتبه ليست حفلة أكثر من إجتماع مفتوح .....اليس من مهامك تذكيري بميعاد الاجتماع ....هاأنا أذكرك يا ملاك هههه.

****

بريطانيا

الشمس أصبحت عين حمراء حارقة ولأول مرة يراها چاك هكذا الرؤوس تغلي تحت تلك القبعات التي يرتديها كل ما في الحافلة الغير مسقوفة لايجرؤ أحد على وضع يده سانداً على أحد أركانها الحديدية أثنى عشر ساعة غير مسبوقة له في حياته تم تجريده من الطعام الذي كان يحمله؛ ملابسه تم إيداعها في مخازن لحين إنتهاء فترة تدريبه وبدأ التدريب منذ اللحظة الأولى ربما كان يعتقد أن الوضع أفضل حال من ذلك على الأقل فى طريق الذهاب للمخيم.

أغلق جفونه حتي يجعل عيناه تمتص ما تبقي بداخلهم من رطوبة ولكن لا محالة فالصمود حتي ذهاب الشمس أفضل حال ربما يكون المخيم أفضل من تلك العلبة الصفيح المفرغة،سمع همهمة وكأن عراك قد نشب بين شخصان بأول الحافلة يتنابذون الشتائم ولاحظ محاولة أحد منهم القاء الآخر تحت الحافلة فتمنى لو يحدث ليخف واحداً ويترك فرصة للأوكسيجين أن يخترق صفوفهم فأطلق من يقودها طلقة نارية فى الهواء

-أريد ان أسمع صوت الضباع في جحورها والا سألقي بأحدكم لأسمع صوت التهامه بين انيابهم

كان يدور الحديث في عقل چاك ؛هل ما سأجده بعد عام من التدريب سيجزي ما يحدث وسيمحي سنيني العجاف التى مازلت اعيشها أم أسنان ذلك الضبع جاءت تحتها اللحم أكثر مني

-تبقى ساعتان على الوصول للمعسكر.

بدأوا فى التعمق داخل الصحراء حتى أختفت علامات أي سيارة ممكن أن تكون جاءت إلى هنا، الرمال تتطاير تكاد تغطي أي شئ يظل واقف تحتها لمدة 10دقائق ولم يوجد علامات لمعسكر أو مخيمات حتى ولو ستبُنى لاحقاً فالارض غير صالحة لتثبيت ولو مسمار واحد.

هل هذا مكان للمعيش لمدة سنة!اين نحن؟!!

جلست (آمنة) بعد أن أرهقها عصر أوراق الورد الأحمر في المصفاة الحديدية من أجل أحدى الوصفات الشعبية لتوريد كعوب الاقدام والخدود

-أين كنتي يا (أميمة)

-كنت عند أم عصام ،أذاقتني كعك صغير ملون علمته لها صوفيا صاحبة متجر الحلوى الجديد.

-ضعي ملابسك في حقيقة سنقضي اليوم وغدا عند خالتك شكرية بمناسبة رأس السنة

-!!!!

أ-تجمدتي! لماذا واقفة ؟

- طول عمرك تقولي رأس السنة حرام الاحتفال بها وايضاً التزيين للمرأة التي لم تكن متزوجة

كانت تنظر لبتلات الورد الاحمر والحناء التي تغطي رأس أمُها بإستعجاب ليس هذة مظاهر احتفال بشئ عام ربما يكون هناك مفاجأة لي لايجب علىّ إفسادُها بكثرة الأسئلة.

-أصبحت حلال،تغيرت الفتوى، ألديك أعتراض؟

-لا

-أذهبي قبل أن يأتي المغرب وتأتي العتمة أكثر من التي أنا بها الآن

كانت آمنة تستنكر جميع مظاهر الاحتفال في الأعوام السابقة تستنكر الاعياد الخاصة بتعاقب الأزمنة فهل أختلف الزمان لنقدم لة احتفال هل سننام ونستيقظ في مكان أخر بسبب ما قدمناه من هدايا لبعضنا أو سيحب أحدنا شخص كرهه! هذا كلام آمنة عن أعياد الأزمنة او ما تخص السنة الجديدة ميلادية كانت أم هجرية أما بالنسبة للاعياد الدينية

فبالنسبة لها لن تكون سوى إلقاء التهانى والزيارات العائلية وان ما يفعل فيها من طعام مخصص فهو بدعة.

*****

خمسة....أربعة.....ثلاااات...آثناااان...واااااحد

أنهالت الاواق اللامعة على رؤوس الحضور وفرقع الخدم بعض البلونات التى تحتوى بداخلها على عملات فضية تكن نصيب من يفرقعها يتخلل ذلك صوت شويكار هانم

-كل سنة وحضراتكم بخير 1950خبر سعيد في هذا العام اتمناه للجميع بمرور نصف القرن 20بسلام

كانت شويكار هانم ترتدي فستان أسود صنع من قماش يذهب له العين يتوسطه من الصدر ماسة صغيرة أُختيرت بعناية من مجموعة لدى مجوهرات (بايوكي)لتصبح أهم جزء في تصميم الفستان ذو الاكتاف المنسدلة بسلاسل فضية لترك مساحة للكولية الذي يتوق رقبتها بحجر الزبرجد.

-أين چيهان؟شويكار هانم

-أتعلمين چيهان تحب وضع اللمسات الأخيرة بنفسها في كل شئ ،أعتقد وجودها الان فى تجهيزات الاوبن بوفية

كانت چيهان في ذلك الوقت تضيف اللمسات الآخيرة فعلاً ولكن على عيناها بريشة من دواية كحل تركي قاتم وحول عنقها بزخات عطر.... وتوجت عملها بقلم كريزي اللون على شفاها تركت وجنتاها حيث لم تجد أي من المنتجات تضاهي لونهم ،الم يكفي هذا مع عيناها البنيتان!؟

-چيهان هانم .....جودت باشا ينتظرك بالحديقة.

أغلقت نادية الباب خلفها وهي يناسب مظهرها ما عليه الحضور اليوم.

كانت تنتظر جيهان مجئ عام جديد حتى تفتح الورقة التي مازلت حول عنق الزهرة إلى الآن وتركتها حتى لا تنغمس اللحظة في عام مضى

-أنا حصلت على البكالوريا اليوم،ياليت أسمع كلمة مبروك

أبتسمت حتى ظهر طبع الحسن الغائر في ذقنها.

1950

-غرفة 207بأسم علوان هاشم

- منذ متى تم الحجز؟

-حجزها صديقي منذ اسبوع وأكد الحجز أمس

-أشار موظف الاستقبال لحامل الحقائب ثم قال له رقم الغرفة وأعطاه مفتاحها

-إقامة سعيدة

سار خلف حامل الحقائب حتى وصل إلى صالة المصعد أنتظر قليلا حين مجيئه ثم صعدوا الى الطابق الرابع وبدأت الإضاءة في الاختفاء حتى وصلا إلى نهاية الممر غرفة207

بدأ رياض المسجل بإسم (علوان هاشم) بتفقد محتويات الغرفة التى سيقيم فيها ولمدة عام كامل او أكثر ربما سيجعلها سجنه الاختياري الاول له في حياته حتى كاد أن ينسى من يقف خلفه وينتظر أن يشكره على حمل الحقائب شكره بعد أن وضع فى يده بعض الأوراق بحرس ثم انصرف تاركه يراجع أعوامه السابقة أكثر ما شغل رأسه المرآة التي تحتل مساحة كبيرة أمام السرير ستجعلة يرى عبوس وجه دائما الذى جاء من أجل نسيانه ونسيان وجه معه وكل ما يفكره بحياته التي القى بها فى مياه البحر أثناء رحلته فكر بإن لو وضع توقيت محدد لنسيان كل هم من همومه كم سيكلفه الأمر من وقت؟ كم يستغرق لنسيان موت والده وهو في الخامسة عشر؟ ولينسى ما فعلته أمه عندما طلب منها أن يتولى إدارة مصنع الاخشاب فاعطته لخاله وأصبح يعطيه مصروف يده كالمتسول لأنها تعلم أنه لا يقوى على اللجوء للقضاء وكم وقت سيكفي لاكبر المصائب وهو جوازه من(أم زين)بحجة قالتها له أمه أن جواز الأقارب مكسب للجميع وأموال واسرار محاطة بسور لا يخترقه الغرباء وان من تحبه افضل بكثير من مَن يحبها هو وله الجواز من ما يشاء فيما بعد ؛وماذا عن موت حبيبته

التى صبرت معه في كل هذا ثم صنعت أمه لها المكائد والاكاذيب عند أهلها لتصبح في سجن مماثل و تبتعد عنه فأصبحت اجرأ منه ولم تستسلم فألقت بنفسها من أعلى منحدر بلدتهم ماذا سيقول لها عند اللقاء أنا اضعف رجال بلدي وأقلهم جراءة وكانت أمى تسحب رقبتى بطوق المال الذي لم اتمتع به يوماً حتى بعد تنفيذ جميع مطالبها وياليتني أستمتعت بروحك وقلبك الذى كان سيغنيني أمام تلك المرآة الذي أغطيها الآن لانني لم أقدر على مواجهة ضعفي .

خلع جميع ملابسه وكانه أراد الرجوع للصفر أو لما هو أبعد وضع جبهته على الحائط وفتح الماء ترك المياه التى تنهمر علية لتسيطر على صوت نباحه ثم وضع جسده مباشرة فى عبائة بيضاء مزخرفة باللون الذهبى من الرقبة واساور اليدين ،أراد تفقد شوارع اسكندرية التى تمنى المجئ اليها يوماً ،من اليوم لا يجرأ على ترك ذاته ساعة هائما فى شئ يحزنه سيجعل أطار حياته سريع حتى أن ينعدم عقله عن التفكير .

-هذا شاب عربى !

قالتها إحدى فتيات صالة الدخول في الفندق عندما رأته خارج بعبائته فنظر لها بإستعجاب كان يظن أن المصريات لم يعجبوا بشئ مثل الذي يرتديه وان هذا الزي مماثلاً لما يرتديه حارس المباني المصري الذي ياتي من الاقاليم وأكثر ما لفت نظره الفستان الذي يرتفع من عند الخصر قليلا ثم ينسدل بكسرات متراقصة وبطانة من أسفله تجعله مرتفع قليلا كفساتين الغرب الذي كان يشاهدها عندما سافر الى باريس من عدة أعوام.

تحولت عبائته لبنطال تارة وبالون منتفخ تارة أخرى من شدة هواء بحر الرمل الذى كان يسير عليه ثم حدث نفسه قائلا ً

-علمت لماذا يقل أهل تلك البلد في أرتداء العباءات سأجعل لهذا حل (وأشار على منظر عبائته)و في قول الناس لي(يا شيخنا)

داعبت أنفه رائحتان جعلت قطبا مركز الاحساس فى مخه يتشاكسوا في أتجاه يعطوه أتجاه ليسير؟! واستقروا على رائحة مطحن البن التي تملئ سماء البحر ،ظل طوال طريق (رائحة البن) ينظر لشكل المربعات الصغيرة المنفصلة البارزة التي تشكل أرض الشارع يتخلل ثناياها أثار احتفال لامعة تضوى في ذلك الليل من آثار رأس السنة في البارحة ،لوحة فنية مبهجة تصنعها طبيعة البلد ويضيف لمساتها جنسيات وطبائع وروح أصحابها

مطحن (سوفيانو بولو) أيقونة يونانية صغيرة تجعل كل ما في المكان يصفون الطريق باسمها ،شحن خلايا عقلة برائحتها عندما اقترب من بداية شارع سعد زغلول وتذكر كلمات أغنية لاسمهان

{يا مين يقول لي أهوى.. اسقيه بأيدي قهوة.. أنا أنا أنا أهوى.. ياللي تبات الليل.. سهران من أيدي لو تشرب فنجان.. راح تلقى فيه السلوى والدنيا تصبح حلوة}

اخد مقعد ملاصق للبار حتى يشاهد عن قرب علاقة القهوة بصاحبها ظل يشاهده وهو يطحن الحبيبات وياخذها وهى ساخنة ليصنع كوب لا يماثل غيرة وراقب تعامله مع الحبوب وجدة يحملها برفق ولو كانه يحمل ذرات قد فرطت من عقد ماسى ،عرف منه أن هذا المكان مداوى القلوب منذ القدم حيث انة كان مكتب بريد يونانى يرسل بالاوراق ما تعجز الآذان عن سمعه وأصبحت تلهى عقل بحبيباتها من لا يقدر على التفكير .

بريطانيا

40درجة تحت الارض غرف مبنية بأكملها من الرمال المتحجرة ممرات غريبة وأذقة ضيقة فتحات تهوية تقود للأعلى لإدخال الهواء سجن قديم!حتى السجناء هجروه!

- كل خمسة أفراد ياخذون غرفة ....نلتقى فى اليوم التالى

سمعت ذلك الصوت يتبعه شخص يمر بسرعة يلقى أمامنا أرغفة وقطع جبن صغيرة تناولتها وتركت الخبز بمرارته انا و 4أشخاص فى غرفة اشبة بالممر مساحتها المتر ونصفه غفلنا ونحن جالسين كنت أهوى بيدى من هواجس الفئران ، استيقظنا على مياه متسخة تدخل فى اعيننا من شخص اشبه بالصعلوق سيتولى مهام مواعيدنا فى ذلك المعسكر وهذة العلب الحجرية ،خرجت من الممر الضيق وصعدت سلم بلا جدران سوى سقف يلتصق بكتفيك خرجت للساحة وانا داخلي أسئلة شتى للعملاق الذى وجدته ينتظرنا ويحملق بعيناه ،كان اول سؤال الم تجدوا اقذر من هذا المكان للتدريب الحربى!وكانة سمع السؤال الذى يدور داخل اعماقى فصاح بصوته الجهورى الواثق

- أنتم فى هذا المكان ليس للتعذيب اتعتقدون أن تدريبكم سيكون فى شوارع لندن!ثم تسيقظون فى الحوارى العربية الضيقة فتصبحوا تائهين مثل دوابهم ،انتم مقبلين على بلاد إذ لم تعرفوا كيف يسيرون ومن اين مداخل شوارعها بقعة زيت بالأرض قادرة على السحق برقبتكم مهما حملتم من عتاد ،ذكائهم لا يستهان بة ومخابئهم اكثر من جرادهم هكذا جميع العرب ،6اشهر ستقضوهم فى هذا المكان ستخرجون أشخاص انتم تمنيتم أن تصبحوا مثلهم 6أشهر وننتقل الى المقر الذي سيجعل منك ظابط حقيقى ومن ثم ستنقلون إلى ما سنحدده نحن حسب كفائتكم

كل هذا الصياح لم يصل إلى عقل چاك ما يصل ألى عقله فقط هو أبنته وما سيصل إلى جوفها فى نهاية هذا الشهر مثلما وعدوه عندما ذهب للتطوع ليصبح فى الجيش الحربى البريطانى الغازي بإعطاء اسرته مرتب وبعض المؤن علم عند أذن أنه ربما لن يعود إليهم وان الذى سيحدث معة ليس هين مقابل ذلك المرتب ،جوف ماريان وچوليت هو الشئ الوحيد الذى يجعله يتحمل هذا العناء ومستعد لما سيقابله .

لم يكن چاك محباً للحروب محباً للمال ربما هو من يشتري كرامة الإنسان فى هذا العالم يحتقرك البعض عند التحدث معه إذ لم تعجبه ثم يقبل حذائك عندما تفتح لة جيبك أو سلاحك

-أتستمع لحديثي انت؟أيهاالاشقر!

-بالتاكيد سيدى

همس داخلة

-اسمعك ربما اكون مثلك فى يوم ما أجمع الفئران ثم اصرفهم ألى ماحيث شئت وبكل سهولة.

****

ذاهبة! أكيد لن تندمى على هذا آمنة؟

-سأندم أن لم افعل هذا ....أنتي تعلمي كم أصبح عمري أنا في الخامسة والثلاثون شكرية أشياء كتير أحتاجها وأشعر وكأنني لم أشعر بها يوما إذ لم أتزوج سأصبح جدة في القريب ستصبح (أميمة) طولي ولن تأتي لي الفرصة أبداً

- دائما تلقين الاحمال على أكتافي ولن يهمك ما اواجهه ....تتذكرين يوم ما تزوجتي (درويش) تركتي أمك وابكِ برقبتي ولم تحملهم عني ساعة ...خلاصة الكلام ماذا سأقول لاميمة ؟!اين امها!أستيقظت ولم اجدكِ؟!

- قولي لها أني سافرت لأحد أقاربنا في البلد واذا ثقلت عليكي زوجها فهى لم تعد صغيرة أستظل بجواري أبد الدهر!

-أشفق على ما ستجديه مع الشخص الذي رفض أبنتك بكل جرأة واشفق عليك من جمود قلبك أختي.

- وها أنا اتركها لحنية القلب والحب كله يا شكرية يجوز تحبك...فالمدة التي قضيتها هنا معك ومعها شعرت بانها بدأت أن تتقرب منك.

فتحت باب الغرفة ونظرت في وجهها ثم وضعت بعض النقود تحت وسادتها -تأخرت ينتظرني هو عند مدخل الحارة الان الطيارة لها معاد ....سأرسل جواب عند وصولي .

ودعتها بحضن دافئ وهي تعدها باحتواء أبنتها وطلبت منها وعد بإن تظل ملامح الحارة بذاكرتها وان يترك نفس أبنتها داخلها شئ حتى تحتفظ ببقية من لين القلب.

****

الأردن

الى أين ذاهب يا زين؟

رفع يده من خلفه وأشار كنايه علي ان لا تشغلي بالك،من يوم أن سمع أمه وهي تحكي عن اختفاء والده وتبعث باحداهم للمجئ باي اخبار ساره ام مخيبه الآمال فلم يجيب أحد وهو لم يحب التحدث إلي أحد يأخذ طبق الحليب والخبز الجاف في يد ويحمل الراديو ذلك الاختراع الجديد الذي شغل عقله قليلا في اليد الأخري ويذهب من الصباح الي قبل الغروب علي البحيره التي ترك بها والده سيارته قبل اختفاؤه ويسمع ما تلقي به الإذاعات المختلفه في أذنه حتي أن ينام علي بحيرته

كان يتغنى مع حاله {عاااشق انا...ذهب مرسااالي....ارسلته انا ....وعدني بأن لا يطول غياب حبيبي ولا تزبل الزهرات بغيابه ....}

اخذ بوصة ملقاة علي حافة الجزيرة ورسم نفسه علي حبات الرمل وبجواره شخص ضخم وقلب صغير معلق بيده مكتوب بداخله زيد ابن رياض .

لا يبعتد البيت كثيرا عن البحيرة لا يفصلهم سوي ساحة كبيرة مسقوفة بالبوص المشبك الذي ترقد تحته بقرة كبيرة وبيت ليس صغير للحمام في اعلي السقف وقريب من مدخل البيت تجلس النساء مع (حليمة)علي فرش مزركش ريفي يعلو مصطبة قديمةلا تخلوا من صينية القهوة والمخبوز اي ان كان نوعه ولا يبتعد عنهم الفحم الموقد دائما.

-انا لا أشبه من الاول؟! ،هو يراني أقل منه ؟،او ربما أقل من النساء الذي رأهم خارج حدودنا !كيف حكي لكِ عنهم ؟يقصرون جلباهم هكذا (ووقفت لترفع جلبابها الي ركبتيها)

-أهدئي حليمة ابنى ليس ناضج للمسؤلية مثلك هو فقط يشعر ولو كانه لايملك حق الاختيار

-والان هو ذهب ليختار ؟اليس كذلك!

-هل تعرفي بأي أرض من أراضي الله هو موجود ؟نحن نذكر اسمه فى الدقيقة مائة مرة يعلم الله إذ كان يتنفس فيها ام...

-لا تقولين هذا أقوى على فراقة لانة يظل يتحرك واتخيله بعقلي عائش هو متأكدة من تخيلي ومتاكدة أن زين يشعر بة مثلى

- الم يقل شئ لزين ؟

- أيقول زين شئ! منذ أن غاب والدة؟!

****

ركلتها بقدمها حتى وقعت خارج المنزل مما دفع الأخرى أن تبثق بوجهها

- أذهبي ولن تعودي الا وبيدك القابلة (آثرة).....تموتي حرقاً يابعيدة

هبطت الطفلة ذات الثمانية أعوام بعدما بثقت في وجه اخت زوجة أبيها ثم اللقت عليها اللعنات طول مدة هبوط الدرج ،كانت الساعة الخامسة فجراً عندما شعرت زوجة أبيها بالم غريب ببطنها فايقظت أختها التي لم تجد سوى ذات الثمان سنوات لترسلها في ذلك الوقت إلى القابلة ام لاچين (آثرة) و عندما زمجرت خوفاً من الذهاب فى ذلك الوقت ركلتها بقدمها مثلما يفعل رجل عشوائي مع كلب بالشارع .

مكثت الطفلة قليلا عند مدخل المنزل من أسفل وقررت عدم الذهاب لإحضار أحد وظلت تردد (يارب تموت.....يارب تموت)تقوقزت بجانب المدخل من البرد الذي تسلل لجسدها حتى تذكرت كلمة والدها(اهتمى باختك القادمة وليس بأمها...تفهمينى؟)ووعدته بذلك ، ظلت جالسة حتى ذهب الظلام واستطاعت تمييز ملامح كف يدها ثم اخذت الشارع ركضاً بأقصى سرعتها لبيت آثرة وطرقت طرقات متتالية حتى اسرع لاچين بالفتح هو يحاول تصويب بصره ليعلم لمن تنسب هذه الطفلة.

-زوجة أبي متعبة وتريد الست آثرة حالاً

-أنتظري قليلًا....أدخلي يا أمل انتظري بالداخل

خرجت آثرة وهي تحكم إيشارب رأسها الذي ربطته بطريقة عشوائية

- يا أبنتي الم تكن زوجة والدك بالسادس من حملها ! ليس وقت الولادة اذن ....تحبون رؤيتي كثيرا انتم أذهبي أمامي.....لن أتأخر لاچين

- لماذا تاخرتي يا حاجة آثرة اختى لم تشعر باى حركة منذ الفجر والم غريب

-اهدئي بالله سنعلم الآن

بعدما تم الكشف وأخرجت آثرة رأسها من اسفل الملائة وهي تحمل تعبيرات مختلف على وجهها

- ستولدين قريبا يا أبنتي ولكن في المستوصف أفضل أذهبي اليوم ليحدد لكِ

- مستشفى ! هل بى شئ؟! انا لا افضل المستشفى ولا ارتاح بها

- انا قلت ما عندى انتم احرار .....تركتكم بسلام.

تنهدت وهي تهبط الدرج ثم همهمت بصوت غير مسموع - اختنق ومات ما الذي يفعلونة نساء هذا الزمن ....الله معها

- بالسرعة هذة ولدت يا امى هههه!

- لم تولد مات طفلها نصحتها بالذهاب المستوصف ويارب تذهب لتعلم لم أستطيع انا اخبرها بذلك ستصبح سمعتي شؤم بالحارة

- ألم تخبريها حتى لم تصبحين شؤم ! هذا كلام يعقل؟

- أين ذاهب ؟

- تاخرجت على ميعاد اختبار مدرسة الحربية ...أدعيلي يا أمي .

*****

...على الهاتف....

- أعتبره أبني يا چودت باشا ....لاعليك ...لاعليك...اسمه لاچين اليس كذلك؟

- نعم وهو كذلك.... نزعج حضرتك دائما ياحضرة المقدم ....في انتظار سيادتك مع السلامة.

بعتذر لحضرتك رقية هانم كانت مكالمة مهمة ...أبن أختي متقدم لتدريب الحربية ويلزم التوصية حضرتك عارفة

- ماشاء الله ربنا يجعلك عوناًدائماًچودت باشا

وضعت يدها على وجهة صغير يحيط بة برواز على المكتب

- ابنتك هذة؟

- نعم...وهي صغيرة الآن هي أكبر بعدة أعوام .....لماذا لم تحضري ابنك معك كان يجب عليه الحضور فهذا المشروع يخصه أيضاً اليس كذلك ؟

- عندك حق ....ولكن انا لم أبلغه بالميعاد لانه متعب قليلاً

- الف سلامة....ندخل فى الموضوع...ماطلباتك انا تحت امرك لأى مساعدة بخصوص أرض المعمورة وفي أي أوراق تطلبين تجهيزها

- تعلَم چودت باشا بعد وفاة زوجي أصبحت تلك الأرض نقمة اكثر من فرصة أقيم عليها مشروع، يتدخلون أعمام أبني ليبحثون عن أي مدخل يعرفون من خلاله جميع ما ادخره بحجتها وينسبونه لزوجي رحمة الله ،عندما اردت الخلاص منها بدأو فى البحث خلفى وغلق جميع أبواب بيعها حتى وصل بي الحال أن أريد اجعلها وقف لصالح دار رعاية .

- الوقف فكرة جيدة ولكن ليس من اللازم أن يصبح وقف حقيقي

- لم افهمكِ

- أقصد بأوراق بسيطة تجعلها وقف ثم يتم بيعها بعد ذلك

- وبهذا يكشفون تلاعب الأوراق وأصبح انا من أسلمهم خيوط التهامي!

- تريدى بيعها؟

- لمن يقدر على ثمنها طبعا ومن لا يستغل وضع الخناق الذى به ويخسف بثمنها

- أتركيني افكر بهذا الموضوع .....من يعرف! من الممكن اكون أنا صاحب الحظ

- ومن يعلم يمكن أن نكون شركاء چودت باشا

مع انة لم يفهم ردها واى شراكة تقصد ولكن هذة المرأة بقوتها لم تخرج من فمها حرف لم يوجد وراءة تدبير ،من يعلم لو كان قابلها قبل زوجها ربما لكانوا حكموا العالم.

*****

-روز وحشتينى

-چوچو حبيبتى ...أخذتى اجازتك ؟

- أخيرااااً .....لم أعرف هل يجب أفرح بأنني أنتهيت من المذاكرة أم أحزن لانى ساعتاد على ارتداء الوجه الخشب ثانياً بعدما نسيته قليلا....تصدقي روز كل البنات بيجهزوا للإجازة قبلها باسبوع ويكتبون جدول للنزهات مع أهلهم وما سيحكونه لامهم الا انا وكاني منساقة للسجن ينتابني أكتئاب غريب كلما شعرت بإقتراب الإجازة

- من وأنتي صغيرة أشك في أنك ابنة شويكار وچودت مع حفظ الألقاب طبعا ؛مختلفة عنهم تمااماً وهذا الصراحة أفضل شئ هههه

- تصدقين روز كنت أتمنى أن تكون شويكار أمي مثلك تهتم بلون الفساتين وليس اغلاهم وبرائحة الورد وليست من أي مكان تم شراؤه فتفاصيلك لم تعرف منها شئ شويكار هانم ؛ مثلا الحضن الذى تستقبليني به سيفسد لها منظر فستانها وربما تقع قطعة الالماس التى تزين صدرها وموخراً أصبحت اشعر بالذنب عندما اضحك

- ياااة كل هذا ،أقول لك هؤلاء حلهم أن تعيشي معهم بجسدك فقط لأن عقلك سيذهب مبكراً اذا راقبتي انفعلاتهم وتصرفاتهم،اعلم ان من الصعب

عدم إيجاد الحب في أقرب الناس لكن ثقي لو كان ربنا جعلنا نختار كنا سنضل اكثر من نحن عليه الآن.

...تسمعي مزيكا؟ اسمعس الاسطوانة هذه احضرتها جديد ستعجبك .

كانت موسقى هادئة مثل صحبتها تمام ببساطتها وفستانها المزركش الوردى الهادى وشعرها القصير الراقى المناسب مع محل الازهار الذى اختارت أن تكون حياتها كلها بداخله بعد أن تشبثت باراضى البحر المتوسط وقررت بأن لا يوجد لها مكان ببريطانيا أو باى ارض غازية حتى لو كانت أصولها منها وحتى لو كان سبب وجودها فى مصر هو غزو أجدادها لها فى وقت ما.

تمايلت جيهان مثلما تتمايل زهور روز في ذلك الصباح ،محل روز بأكمله قادر على أن يشفي الطاقة السلبية ؛جرب أن تنظر الى وردة واحدة متفتحة الى شعيراتها الدقيقة التى تتغذى عليها ستشعر بالحياة بأكملها تكمن داخلها ولم تجرؤ على قطفها وانهاء حياتها مقابل التمتع بها للحظات ،كانت تهتز جيهان على الموسيقى حينما دخلت سيدة تطلب بوكية ورد لعروس.

- أجهزة انا؟

- سأجد أفضل من زوقك؟! ألقت عليها قبلة من قبلاتها الرقيقة واكملت روز تقليم الزهور وبدأت الأخرى فى تنسيق البوكية ،اختارت تنسيقة من الورد الاحمر فى المنتصف محاط بدائرة من الورد الابيض يليها أخرى من البنفسج وأعطتها للشاب الذى يعمل لتغليفة

- تتذكرين سارة التى جاءت معي الى هنا منذ فترة؟

- تلك البنت الجميلة ...تذكرتُها

- اهلها يريدون العودة الى فلسطين وأخذها معهم

- للاسف جيهان هذا ما سيحدث لعائلات كثيرة حتى الذين لم يريدوا ذلك....معاملات الناس أختلفت في السنوات السابقة ...تعرفي أنهم عندما

يعلمون أنني اصلا من بريطانيا بعضاً من الناس تتغير معاملاتهم لي وكأنني من أعضاء الاحتلال هههههه

- تاخذين كل المواضيع ببساطة ياروز

- ليست ببساطة كما أنها حكمة يجب أن تكون عند إحدى الطرفين في أي نقاش ،تخيلي إذ أحداهن عاملتني بأسلوب سئ حتى ولو كان هنا بمحلي وتبادلت معها ذات المعاملة ماذا تتوقعي أن يقول أصحاب العقلية التى نتحدث عنها اسمعى يا سيدتى شجاااار حاد بين مصرية وبريطانية هل سيقولون اثنين جيران أو مشادة بين صاحبة محل ورد واحدى الزبائن لا حتى ولو كان لادخل لجنسيتنا في المشاجرة الناس تستغل اى نقطة اختلاف حتى يعلقوا عليها الأسباب ،أهل سارة يريدون الذهاب بها وهي محبة لهنا وتأكدي كما هى تحبها ومتمسكة بها ستجد أشخاص يعملون جاهدين أن يسلبوا منا تلك الوطنية بنكران انتمائها .

- هنا لن يقبلونها وهناك هى لن تشعر بهم وتكرة ما تسمعة عن الاحتلال

- أختيار صعب خاصة وأنها بهذا العمر لو كانت أكبر وبدون اهلها لكنت قلت لكِ تسافر الى أي مكان أخر بعيداً عن ما سيحدث هنا في الأيام المقبلة

- الايام المقبلة! ماذا سيحدث

- چوچو لن احب التحدث عما سيحدث مع أنه معلوم للكثير ولكن كيف والدك چودت باشا وانتى لا تعلمين!؟

******

بداخل الطائرة وقبل صعودها و بعدما اللقت آمنة خيوط المسؤلية التى قد أمسكت بها قديما بدون رضى حتى سنحت لها الفرصة بالقاءها والعودة بالعمر لحق الاختيار وقع اختيارها على السيد يونس الذى سقطت فى رأسه فكرة المجئ الى مصر قبل أن ينتهى بة العمر بدون رؤية المكان الأسبق لوالدته ووالده حيث وعد نفسه بالاستمرار اذ وجد ما يجعله متمسك

بذلك وبالفعل وجد بعد طول انتظار خمسون عاماً امرآة من ذات التى يبحث عنها ولكن لم تحببه فى البقاء بل كانت ستتركه إذ فضل البقاء وعدم العودة إلى بريطانيا ،الكل يريد آخر بحياته لينسى به ما مَر ولا يحاول سؤاله عن بماذا هو أيضا مَر .

-قلقة على اميمة؟

-لم أستطيع تحديد مشاعرى هل هي خوفاً من التغيير عامة أو ما ستقوله أميمة عندما تعلم أنني تركتها من اجل معيشة أفضل لي انا فقط.

- سيتغير حالك وستعودي جالبة لها الخير معكِ وتعوضيها ايام الغياب .....اعدك بذلك

- يعلم الله متى ستكون العودة و كيف سيكون الحال وقتها

- أعدك بأن كلما سنحت لنا الفرصة وأعطى الله لنا المال سنفعل،انا لست أقل حال ببريطانيا يوجد من هم أقل مني كثيرا وكذلك لست الأفضل ولكن حياتي طيبة وحيّ أيضاً ليس صاخب وستحبي جيراننا.

- لا تحكي لي كثيرا ساكتشف بنفسى كل شئ يونس

[اقلق من نتيجة أختياري ولكن على كل شئ يكفى أنه أختياري وما سيحدث بإرادتي وأخيراً خرجت من قوقعتي وسأعمل بأي شئ فالغرب لا يقعون العيب والمزلة على العمل واعلم أنهم يحترمون خاصة عمل النساء ،يكفيني شرف المغامرة]

- تخيلتي الحياة البريطانية؟

- الحياة حياة فى اى بلد حيث انك لم تشعر بها من قبل ،كلمة مجردة تشعر بها عندما تشعر بأنك حي حينها تشعر بالحياة ،ربما أشعر بانني على قيد الحياة معكِ

- هل متأكدة انك لم تكملى تعليمك!

- ما الذى كنت ساتعلمه فى المدارس وأُضيع عليه عمري ثم اواجه مجتمع يجعلني أندم انى قرأت كتاباً يوماً ما وتعشمت أن اجد ما به فى الحياة

-تصدقي أنك على حق ،أبي هاجر من هنا ليبني حياة وعائلة مثقفة غنية في بريطانيا وها انا مثقف نوعاً ما ولكني لم أنال حظ مثل أبناء بريطانيا الأصليين مع أنني لم أشعر يوماً بانني لست اصلياً هههههه ربما اذ لم يعشمني أبي بإنني بريطانيا كنت تحملت العيش هنا وانا غالق فمي للابد.

- تبدو انك أصلياً وفى كل شئ يونس هههههه.

******

بريطانيا

كانت چوليت تجس قطعة القماش المبللة التي وضعتها في الاناء المعدني المملوء بالمياه المثلجة لتضعها على جبين (ماريان الصغيرة) التي أصيبت بالحمى وأصبحت عيناها تائهة ووجهها مائل الى الاصفر من نقص الغذاء بعد ما نفذ ما تركه چاك لديهم ولدى ماريان الكبيرة أخته وعندما هَمت چوليت بالعمل لدى بائع الزهور الذي يقع محالة فى آخر الشارع وجدته حمل عتاده وذهب ولم تعرف عنه شئ ؛ هذا حال الرجال يتركون أماناتهم ويهيمون على وجوههم ألى ما يقفز برأسهم، طُرق الباب بقوة فادخلت ماريان رأسها ألى حضن أمها التي هدأت خوف مريان بقبلة على رأسها وذهبت لتنظر من النافذة المطلة على الباب من الجانب لترى من الطارق فإذ هي تجد رجل هزيل لا تساوى طرقته حجمه يحمل معه شوال صغير وينظر حوله أنقبض قلبها فى أول الأمر ولكن تذكرت ما قاله لها چاك بإن سيأتي أحد ليعطي لهم بعض من النقود والمؤن آخر كل شهر لحين عودته فاسرعت بفتح الباب قبل أن يمل ويذهب وقبل أن تلفذ ماريان أنفاسها الأخيرة

- ماأسم جوزك ؟

- چاك ماكريل.....هل هو بخير ...باي مكان ؟

-هو بخير،داخل هذا الشوال جواب يطمئنك عليه، هو اين هذا لايخصك

-شعرت بما اللقى چاك نفسة فيه وسيصبح محاط بعلامات الاستفهام ربما سنصبح انا وابنته مهددين إذ فعل هو أي شئ.

-تفضلى وسيصلك مثل هذا كل شهر

-شكراً .....أكملت الحديث داخلها

-هو لا عليه شئ سوى الشكر فكل الفقراء محكوم عليهم بالصمت والتنفيذ

فتحت الشوال لتخرج ما به يناسب من يرقدون ومحملين برقبتها فوجدت الكثير من المعلبات والعلب المعدنية بها اللحوم واللانشون والسمك المملح والعيش المضغوط فى أكياس وظرف أبيض مشمع هذا يعني أنه فحص قبل أن يصل اليها

{چوليت .... ماريان انا الآن فى معسكر التدريب لاصبح فى مكان يرفع رؤوسكم اجمع ويصبح اقتران اسمائكم بإسمي افضل من ذي قبل وخاصة انتي چوليت لا أريدك تنكري معرفتك بي عند ذكر أسمي أو تهربي خوفاً من أن يكون لأحد أموال لدى وأريد أن أنقذ قلب اختي ماريان بالبحث عن أبناؤها الاثنين بسلطتي....لا تنسي إعطاء الدواء لماريان ابنتنا فقد جاملني مدربي لحسن لياقتي بإن أرسل لكما الدواء إضافي مع المؤنة ولم يخصم ثمنه من المال

تحياتي چاك

لم تحكم دمعة هربت من عيناها لتصل إلى اسمة المدون بنهاية الچواب وأسرعت بدواء القلب لماريان التي كانت في هالة تأهب لما يحدث خارج غرفتها وفتحت لها علبة من العلب وأطعمتها في فمها على السرير الذى أصبح لكل اوقات ومهام اليوم ،طرقت باب البناية المجاورة لهم وطلبت من جارتها المكوث مع ماريان للذهاب للاخرى سلكت الطريق مثلما كانت تسلكة ابنتها وحتى هى تنظر من بين ثنايا البنايات تريد ولو تجد وقت ومال للخروج من تلك الثنايات والعمل أو التنزه في شوارع فارهة ياتي ويذهب إليها البشر جميعاً نظرت لايديها وهي تفتح الباب الحديدي فلم ترى سوى الجلد المجعد من اثر استعمال يدها اكثر من أى شئ بالمنزل ،ذهبت الى المطبخ لتضع بعض من المعلبات لماريان وهي تعلم انها لن تفعل بهم شئ ولن تفعل اى شئ سوى خطوات عشوائية غير محسوبة داخل المنزل والحديقة ولن تضع لقمة فى فمها بمفردها حتى لو جلست هكذا عدة أيام ،فرغت معلقة

من اللبن البودر في ماء دافئ وحمدت ربنا أنها وجدت الدواء مازال حتى لا تتكلف مصاريف شراؤه واتمت مهمتها بنجاح باطعام وشراب الطفلة الكبيرة التي أصبحت فوق اكتافها هي الأخرى ،رمقت بعيناها في طريق العودة باب محل الزهور مفتوح قليلاً وكان أحد بداخله وقفت على حذر ونادت

-من بالداخل ....سيد يونس هل انت هنا؟

أطلت رأس من الباب لولد فى السادسة عشر من عمره

-السيد يونس سيصل غداً وانا أنظف المحال واضع الازهار الجديدة....تريدين ورد؟

-أشكرك..... فقط كنت أطمئن من بالداخل.... أومأ براسة علامة على التفهم وذهب للداخل

همهمت داخلها ....يارب يكون هذا عامل ليس دائم بالمحال.

******

تسببت في وقوف حركة المشاة مجموعة من البنات يشكلون رقصة (الزوربا) اليونانية يرتدون فساتين تنورية ويصنعون حاجز باجسامهم فى بداية الرقصة ثم ينتشرون راقصين فى دوائر واقفين على أطراف أصابع اقدامهم يبدلون رفع قدم عن الاخرى على موسيقى إيقاعية تناسب رقصتهم السريعة باوضاعها المختلفة كانت احداهن تقلع قبعة رأسها لتصبح محل إيداع لما سيحيهم به الناس من نقود فتدور بالقبعة حول الناس الذين فضلوا الخروج من المحال للمشاهدة وأصحاب المحال الذين يتصدرون الابواب ويقذفون بوريقيات الورد الاحمر الصغير إذ رقصتهم جذبت الاعجاب ولكن المشاركة فى الرقص كان هو الجديد الذى قام بة (رياض) الذى جذبتة ملامح احداهن ربما لم تكن يونانية فملامح وجهها نتيجة لمزج شريان عربى

باخر يونانى فكانت النتيجة جذب رياض لرقصة تحولت بها رقصتهم الى الدبكة الاردنية ،انتهت الرقصة بعزومة ل (آنا) تلك الفتاة التى استوقفته هى وفرقتها وغيرت مسار يومه بعدما كان فى اللاشئ وذلك فى مقهى (اتينيوس) ويعنى باللاتينية الاثينى ، اختار أن تكون جلستهم فى مقابلة البحر بنسماته اليودية وعلى الايقاع الكلاسيكى :شغله عن الحديث بعض التماثيل البرونزية اكبرهم للاسكندر الأكبر وآخرين عندما سئل (آنا) عرف منها أنهم يمثلون الهة يونانية قديمة آثينا و أفروديت الهة الجمال فهم من ذلك أن السكندريون يضعون دائما ما يعبر عنهم فى كل مكان وهو الجمال والحكمة فى كل تفصيلة.

تناول كأس صغير من الشروب الكحولي الذى اختارته له (آنا) وبدأ يعرف ماوراء تكوينهم لفريقاً راقص بالاحياء وعرف منها أن والدتها يونانية كان لديها مقهى صغير يماثل ما يجلسون به الآن فى ديكوراته وكان ببورسعيد ويعتبر من أوائل المقاهي من ذات الطراز تقدم الوجبات اليونانية بلمسة مصرية كان يضيفها والدها ومعها بعض الرقصات مثل التي كانت تؤديها وكان أيقونة المدينة إلى أن جاء الحرب ودمر اشياء كثيرة وجاءت بها والدتها لبداية جديدة في الاسكندرية كونها مماثلة لما يعيشون فية ولكن لم يستطيعوا إقامة مقهى أو أى بديل فكونوا الفرق الراقصة بالشوارع واحياناً يُطلبون لإحياء حفلات السرايات .

أرتشف من الكاس ونظر لناحية أخرى من المقهى فوجد بورتريهات موضوعة بترتيب عرض الحائط تبدأ ببورتريه لمحمد عليّ باشا حتى وصل إلى الملك فاروق وهو الحاكم الحالي شعر وكانه أمام عرض حضاري آخاذ وانه اخطأ عندما دخله بغرض كأس وحوار عابر وقضاء وقت؛ هذا المكان للصمت والتآمل فكل جدار يحكى قصة يجب أن تقف لها عقارب الساعة ليطول حكيها ،استأذن رياض(الجرسون) في ورقة وقلم وبدأ يخطو بكلمات بسيطة

يحكي بها عن المكان وعن (آنا) التي دفعها الفضول أن تساله عن ضرورة الورقة وعن ما كتبه فطوى الورقة ووضعها في جيبه واعتذر لها فاستكملت الحديث بسؤالها عن زوجته فنفى كونه متزوج لكن أنعقد لسانه لانة لم يبوح بوجود (زين) بحياته ستطول الكذبة إذ لم ينكره وسيضطر ان يفكر بحكاية اطول ،أنقذته من الشرود الذى كان سيقبل عليه بطلبها الذهاب لتحضير حفلة ستقام في سرايا بزيزنيا.

*****

- ما أخبار المريض الذي في البلد؟

- مريض! مَن المريض؟

- المريض الذي ذهبت امي اليه لانه ليس لديهوأحد يمكث بجواره ويتابع علاجه

- اها تذكرت ،لم أعرف اخبار عنه ؛اذ حدث جديد سيأتي الينا أكيد،أم انكي لم تحبي الوجود معي ومللتي مني،يحزنني أن يشغل تفكيرك ذهابك

- لا لم اقصد هذا أبداً خالتي، ولكني هنا لم أفعل أي شئ أريد العودة لحارتي وأمي هي الوحيدة التي ستعود بي.

تركت الشرفة وجلست في مقابلة لخالتها أمام الاناء المعدني الكبير التي تعجن به وبجوارها وابور موضوع علية علبة السمن الصفيح تسكب منها في الاناء بعد إنصهار جزء منها

- حتى أنسى ما قيل ضعي يدك وأعجني معي لننتهي سريعاً من العجن قبل العصر

- لمن كل هذا العجين!؟لنا

- لفاطمة بنت جارتنا ،عرسها أقترب واليوم جلسة البنات التي تقعد قبل العرس؛ وبهذه الجلسة نخبز كعك ومخبوزات حلوة للعروس

- كل هذا لجارتنا وبدون أجر (أخذت الأخرى شفتها السفلى بأسنانها علامة على الاستياء لما قالته)

- أجر!

- أمي تقول لي الفقراء لا يعطون ولا يأخذون لان ليس لديهم ما يعطونه ولم يستطيعوا رد ما سياخدونه

- وانا أقول الفقراء يعطون والله يرد لهم ما يعطونه

نظرت لها بعدم فهم لما تقوله وأكملت الطرق في العجين بقبضة يدها وعندما لاحظت الآخرى عدم تفهمها قطعت الصمت

- تعالي أميمة اجلسى بجواري.....اديرى ظهرك ،فوضعت الاخرى يدها على مؤخرة رأسها وادارت وجهها سريعاً ليقابل وجه خالتها التى تعجبت من الموقف

- ما بك يا أميمة!

- عندما كانت تطلب أمي مني هذا الطلب كانت تقص لي شعري بدون أرادتي

- لماذا؟!

صمتت قليلا ...لم تكن تحب الشعر الطويل ولا تحب البنات ...البنات اللاتى يهزن شهورهن كانوا يستفزونها كثيرا وبدون سبب ،وضعت يدها على ظهر اميمة وكأن شكرية تتخيل ما حدث لاميمة من عقد وهي تعيش عند اختها واخذتها ضماً الى صدرها

- انا لم اقص لكِ شعرك كنت سأضع بعض من السمن ليطول قليلا ،السمن دهان سحري ؛ اتعلمى هذا؟

عادت مسرعة للنافذة مرة أخرى عندما بدأ ظهور صوت الطبل وبعض زغاريد النساء

- أخذنا الكلام ولم نخلص عجين فاطمة

- ها انتى التى تقولين هذا يا أميمة هههه.

- حملت الاناء فوق رأسها واذ هى تجد الباب يطرق بصوت زوجها الذى فتحت له اميمة فلم يعيرها انتباه ووجه الحديث لزوجته

- ستقضون الليلة عند جارتنا؟

- لم نجلس كثيراً حتى العشاء وسنعود ،تركت لك كل شئ ستحتاجه

ابتسمت ابتسامة خفيفة وأشارت لاميمة بأن تسبقها ثم همست له

- قل للبنت اى كلمة مجاملة .

****

وأخيراً وصلا الأخوين (چون وچاستين) الى الحدود السواحلية لبلاد الاردن بعدما أوفى (مارك) صاحب ورشة الخراطة بوعده وجهز ما يلزمهم من اوراق باسماء جديدة ليعبروا الحدود البريطانية ومروا بعدة بلاد حتى وصلوا وأستقروا على هذة البلد التى سيجدوا بها ما يكمل مسيرة (مارك) وكان هذا الملاك أسقطه الله لينير دروبهم .

خيوط الصبح قد شُقت وهما مازالوا نائمين فوق حقائبهم البسيطة ينتظرون من يأتي الى الميناء لإستقبالهم وبعد مرور عدة ساعات بدأوا يشعروا أن مساعدة مارك قد انتهت عند تهريبهم من الحدود البريطانية وإن حانت اللحظة ليكونوا قادرين على الاستكمال ،حمل چاستين الحقائب وحمل چون ما تبقى داخل اجسامهم من طاقة وبدأوا فى الاستعداد للمواجهة ،مدينة جديدة ؛عربية؛نظرات الناس لم يستطيعوا تفسيرها وتحديد هل كانت لهم ام عليهم،قطع سيرهم سيارة تنبأ بمن داخلها من جاه ؛هبط منها رجل يتخطى السبعون بشارب ثقيل ابيض وعصاة يفتح ثغرة بابتسامة صغيرة

- انتما الأخوين ....من بريطانيا؟

نظرا كلا منهم الآخر ثم أجابوا بالموافقة

- تعالوا معى ،لم تعرفوا مثيل فرحتي لانكم قادمين من عند مارك اخي

- اخك!....

- نعم اخى....مر عدة اعوام ولم اراه....اشم رائحته بكما

- ولكن انت تتحدث الإنجليزية بصعوبة! انتما أخوين كيف!

- هههه هذا موضوع كبيير مالم يريد قوله مارك لم اتحدث به مثلما عدم رغبتي فى معرفة كحايتكم تمام... الآن ساوصلكم بيتكم (نظر كلا منهم للأخر بفرحة اعتلت وجهه) ثم أكمل حديثه

.....الذى سأخذ أُجره منكم بعد اول شهر يمر ...اتعتقدونه مجاني هههه امزح معكما ؛عند العشاء سأتي ومعي صديقي لنعرفكم مهام الوظيفة التى ستعملوا بها غداً ،ما مهاراتكم؟ وصلتم الى أى مرحلة فى التعليم؟

- نقوم بأى عمل ونتعلم ما تريده سيد بيرم

- سندبر الأمور معاً ....والآن انتما وصلتم للمنزل ستجدون هاتف بجواره رقمي ،اترككم انا حتى العشاء

كان البيت عبارة عن كشك خشبى كبير فى منطقة زراعية الى الحد الأقرب لم يلاحظوا مرور سيارة واحدة واقرب بيت قادرين على رؤية قمته فقط، بدأوا فى إزالة بعض اوراق الشجر التى تكسو السلم القصير ثم وجدوا البيت شبه مفرغ من الأمتعة ما عدا منضدة دائرية وأسرة ضيقة اول ما جاء فى رأس جاستين هو البحث عن طعام فقرر استكشاف المحيط لمعرفة اماكن الباعة بينما قرر چون المكوث يتخيل ما هو الحال الذى عليه أمه الآن وما يفعل بها خاله چاك.

كان چاك فى ذلك الوقت قد انتهى من التدريب العسكرى فى ذلك المخيم الغريب وانتهى ارسال الجوابات لچوليت فكانت قوانين القائد الجديد هو منع وصول أى اخبار عن المكان الجديد اللذين سينتقلون آلية ولكن منع الاخبار لم تمنع المؤن المرسلة لكنها منعت هدوء قلب چوليت.

****

توقفت السيارة الصغيرة مثلما أشار (يونس) على سائقها وانزل الحقائب من أعلاها ثم فتح الباب ل (آمنة)

- البيت هنا؟

- لا .....سنسير قليلاً

- لماذا توقفت السيارة هنا أذن؟ لماذا لا تجعلها تسير بنا!

- هنا أخر شئ للسيارات هم لا يدخلون إلى الاذقة ،دعينا نسير بسرعة ثقلت الحقائب على يدي

- دعني أحمل عنك

كانت تسير داخل الاذقة واحد يلو الآخر حتى وصلا إلى حائط سد وكان هذا العنوان هو عنوان البيت فالبيت بجوار ذلك السد أشار على محال الزهور الذى يبعد عشر خطوات وقال لها

- هذا محالي ستقفين معي فى حين أن مللتى من البيت ،وفى هذا البيت جارتنا (چوليت) وابنتها الصغيرة ،لن تشعري انك فى بريطانيا ؛هنا ستشعري انك فى حي من أحياء بحرى هههه اليس يشبه هههه

هادئ الحي بما فية ولكن فاق توقعات آمنة كان فى اعتقادها أن بريطانيا تخلوا من الأزقة والقمامة المتراكمة بجانب بيوت الفقراء وذلك الخط الفاصل الذى توقفت عندة السيارة بمحركها لانة يفصل بين الشوارع الفارهة وما هى فيه الآن ، أدار مفتاح البيت الذى صدأ أثناء فترة غياب السيد يونس ؛ البيت يتكون من غرفة واحدة كبيرة وحجرة استقبال لا تسمى إلا ردهة نظراً لمساحتها ،فقط الهواء مختلف والذكريات التى تركتها حبيسة حارة الإسكندرية ذلك هو الفارق الوحيد.

- أخلعي ملابسك وأستريحي وانا ذاهب لرؤية صديقى چاك لم اسمع صوت حنجرتة أصيبت فى عراك تطاول فية على أحداً ام ماذا هههه

- لهذا الحد يتشاجر صديقك؟!

- شعار بريطانيا فى الخناقات ،استعدي لتتعرفي عليهم فى المساء عزيزتي،سادعوهم على العشاء إذ لم تعترضي

*****

صباح الخير شويكار هانم ....مدام آثرة اتصلت وحددت ميعاد زيارة سيكون بعد غد

وضعت شويكار فنجان القهوة على الطبق رفعت راسها ببطئ مما جعل نادية تشعر وكأنها أخطأت بكلمة ما

- مدام آثرة! تتصل وتحدد موعد زيارتها ! هنا ليست مقهى، اتعلمي ذلك يا نادية ليست مقهى

ظلت الاخرى تهز رأسها بتوتر علامة على الفهم

- اذهبى لاستدعاء جيهان وفهميها هى الأخرى أن هنا ليس بانسيون للنوم،يوجد مواعيد،جلوس مع هوانم،جيهان لم تصبح صغيرة

- حاضر،أوامر اخرى؟

- اذهبى وأشارت لها بعكازها

- جيهان هانم ،مدام شويكار يبدو أنها عصبية جدا ويوجد سيدة غريبة بالمكتب اول مرة اراها هنا ومن معها شكلة اغرب

- جميع اخبارك غريبة كهذة نادية....تعالي أغلقي لي الفستان

- لن أمزح ستصدقيني عندما تريهم

- ومن قال لك أني سأنزل

- شويكار هانم أكدت بأن لن المس السلم بقدامي غير وأنتي أمامي

لم تحب جيهان مقابلات والدها بالمكتب ولا رائحة المكاتب عامة ولا التدخل في حوارها مع أصدقائه أخذت نفس عميق ثم أدارت مقبض المكتب ودخلت ، تلك السيدة التي يجب رؤيتها فعلا غريبة وأبنها هذا الذي أحضرته ملامح وجهه لم تمر عليها طوال حياتها ؛مدت يدها لتسلم على السيدة التي رحبت

بها بطريقة رسمية ولكن عندما مدت يدها لتسلم على أبنها كان ينظر في جهة مقابلة وكانة لم يراها مع أنها متأكدة أنه يرى تغاضت عن الموقف وجلست بجانب أمها التي لاتختلف فى جلستها عن تلك السيدة كانت كلما تهم بالاستئذان ضغطت شويكار هانم على أرجلها طالبة منها الانتظار حتى فهمت أنها ستفشل في محاولة جديدة للقيام من هذة الجلسة الغير مفهومة ،أرادت إشغال ذاتها في أي شئ حتى لا تعبأ عقلها بحديثهم عن العقود والأشغال التي لا تفهم بها فتابعت بنظرها ذلك الغريب في تصرفاته لاحظت أنه أيضاً قد تصدع فأمسك بطرف قميصه وبدأ يلفه حول سبابته وينظر في الساعة بضيق وكلما مر الوقت كلما تحركت شفاه السفلى في تذبذب واضح مما جعل مراقبتها له تزعجها أكثر من الحوار الدائر في الجلسة همَت بالوقوف قبل أن تضغط شويكار هانم عليها مرة اخرى وقدمت إعتذارها لتلك السيدة وتركتهم وصعدت تركض للأعلى وكانها هاربة من سجن مع ذلك لم تترك نادية محيط مكتب جودت باشا حتى أوشك الاجتماع على الإنتهاء فتوارت جانباً وهي تضع يدها على خدها من ماسمعته

وجدتها جيهان تفتح باب الغرفة وبدون أذن منها وتدخل

- نادية كم مرة اقول لك أن مهما كنا قريبين لا أحب تلك الحركة ابداً

-أسمعيني جيهان هانم ،سمعتُ شئ يجب أن اقوله لك بأي طريقة وسأتحمل نتيجته كما هي

- كلاااام كبير يانادية هههه،اذ شئ لا يخصني فلا اريد سماعه

- السيدة التى كانت بالمكتب تريد زواجك من ابنها الذى كان معها

- هههه،لهذا تخافين من نتيجة كلامك لانة غير موزون

- يوجد ارض كبيرة لم اعلم مكانها كان يريدها والدك من تلك السيدة وكان سيمضى عقودها اليوم وبحضورك تحول العقد من شراء ارض لشراؤك انت

- نااادية،ركزى على كلامك

- لن اقصد،ولكن سياخذها بدون مقابل يدفعه إذ تمت زيجتك من ذلك الشاب الذى يعاني من الصرع

- تعرفين كم أريد أن يكون ما تقوليه حقيقي؟ لانك لن تتحملي ما سأفعلة بك فى حين كذبك ،وكيف سيتم زواجه وهو مريض! لم تسمعي ذلك كما سمعتي باقية الحوار؟،ربما تتحدث عن آخر وفتاة أخرى وانتى بتصنتك اختلطت الأحاديث

- ستعلمي ان كل ما اقوله حقيقى بعد دقائق

- تمام،اتركيني أنام الان من فضلك .

*****

جلس (السيد بيرم) محضراً معة (سيد ماجد) وهو صديق بيرم والمدير التنفيذى لشركة الشحن والنقل البحرى الذى اختارها (سيد بيرم) ليعمل بها كلاً من (چون وچاستين) بدأ ماجد شرح ماتقوم بة الشركة من أعمال وكيفية التعاقد وانها ليس فقط شركة تأخذ البضائع من بعض المنتجين أو المصنعين وتقوم بتراخيص شحنها ولكنهم يجلبون عروض شراء ويعتبرونه وسيط بين البلاد وبين المصدر المستورد ومن اهم تلك البلاد التي يصدرون إليها (لبنان،مصر،المغرب)وبدأ يقسم اعمال كلاً منهم فوجة الحديث لچاستين

- في بداية الأمر يا چاستين أريدك أن تذهب مع إحد الموظفين عن استخراج التراخيص في شركتنا وهذا ليس مجهد ولكن مهم في البداية أن تعلم كيف يتم ....أما أنت ياچون عملك ستحبه جداً أرى في وجهك السعادة من قبل أن تعرفه؛ستسافر الى أهم البلاد التي نتعامل معها لتعرف ما يحتاجونه في الاسواق ،المحال،الاجهزة وتكتب عنها تقارير ومع التقدم ستكون واحد مِن مَن يبرمون التعاقدات مع الشركات ،اتفقنا؟

- أتفقنا

=أتفقنا طبعاً

تناولوا الوجبات التي أحضرها معه (سيد ماجد) وبمناسبة حضورهم الأول للأردن الحبيب وبعد الإنتهاء وعدهم

بإصطحابهم بنفسه لمشاهدة مدينة العقبة والمساحات الخضراء التي تكسو الجبال وتقترن بخليج العقبة في ذات الوقت ومعرفة الاماكن ليسهل عليهم السير بمفردهم ثم ترك لهم مظروفين بهم بعض النقود عندما علم من سيد بيرم بحكايتهم وطول مدة سفرهم وبالتالي أنتهاء أموالهم.

في صباح اليوم التالي أستيقظ چون على صوت غريب صادر من الطيور الذى تذكر رؤيتها عند إقتراب وصولهم من الميناء ؛فضل الخروج والجلوس على ذات السلم الذي جلس عليه أول يوم ربما سيكون مكانه المفضل هنا فالمكان يذكره بحديقة الريحان التي كانت تزرعها أمه فعند النظر من أي اتجاه لا ترى سوى تلال خضراء وكأن ربه جهز مكان لاإستقباله مماثل لما يحبه وبكل إتجاه ،لاحظ وجود بقايا سهرة أمس إناء الشاى و ماتبقى داخل الاكواب ،أشعل بعض أخشاب التدفئة ووضع أعلاها الاناء وجلس يفرك يديه حتى سمع صوت چاستين يناديه وهو يبحث عنه فى الداخل ثم خرج ليكمل بحثه

- انت هنا ؟! ماذا تفعل في ذلك الوقت!!

- مثلما ترى أغير نظر عيناي بأي شئ مختلف ،أجتمع البحر والمساحة الخضراء في ذات المكان اترى الجمال الذى يمتلكونه العرب چاستين؟!

- أرى وأسمع ؛أسمع صوت الطيور العالي وربما لم تكن طيور عادية....وأرى أن هذا المكان خالي تماما من البشر وربما ليس أمن ايضاً .

-الايجب عليك تغير كل الاوضاع الروتينية التي كنت تسير بها؟عن ذاتي أريد الاستكشاف وفي أي شئ جديد أريد ترك چون القديم كما تركت حياتي البريطانية القديمة

- حياتنا تركناها مجبورين أتعتقد انا كنا مخيرين أو انى فكرت بالرحيل وانا اعزف لحن مغادرة بريطانيا والمجئ لهذا المكان الهادئ! اتمزح چون ،نحن لم تأتي للاستجمام

- لاأعرف لماذا تعصب من حديثي حتى ولو افرغ ما بداخلي معك فقط

- أؤفع ذلك الاناء ...أوشك على الاحتراق وأرتدي ملابسك بأكملها نحن لسنا ببريطانيا الناس هنا جميعاً ينظرون لنا وعلامات الاستعجاب تتملك منهم.....ساعة على الأكثر وسيأتي السيد بيرم ويذهب بنا لاستلام وظائفنا ...تذكر يجب علينا تعلم العربية وفى اسرع وقت حتى نفهم ما يدور حولنا

- انتهيت! تشعرني وكأننا فى مهمة حربية

- ها نحن فى مثلها

عندما وصل السيد بيرم وجدهم ينتظرونة بجانب المدخل مما عكس على وجهة نظرة الثقة لما رآة من نشاط على وجههم،جلس چون بجانب السيد بيرم متسائلا عن ذلك طيور التى تحوم بالسماء وتصدر اصوات مخيفة فاجابة بأنها طيور مهاجرة وان دائما المهاجرين أى ان كان نوعهم يصدرون اصوات كثيرة نتيجة لما يشعرون بة من توتر وشعور بالتغرب وبعض الاصوات الغريبة يصدرونها لصنع رهبة للطيور الأخرى وضحك مشيراً لة أنه يشبههم سيظل يتسائل عن كل شئ بالمدينة حتى تهدأ نفسه ويشعر وكأنة وليد البلد.

*****

وضعت چوليت مشاوء يوم الاحد وتضم قطع لحم مشوية بالإضافة إلى السمك والبطاطا وفى اخر الطاولة فطيرة التفاح وبعض من الكحك المحلى الصغير

نُقلت العزومة من بيت السيد يونس الى چوليت بعدما أصرت الأخيرة على هذا حتى ترحب ب(آمنة) وتتعرف عليها ،ازالت من التحضيرات لحم الخنزير المقدد عندما علمت أنها لم تستطيع أكلة لأسباب دينية وأيضاً النبيذ واستبدلتة ببودنغ التوفي اللزج الذي تفضله (ماريان)التي أختارت جلستها تكون باول المنضدة مكان جلوس (چاك) والدها

تبادلا كلا من (چوليت وآمنة) أطراف الحديث بينما كان (يونس) يداعب ماريان ويصنع أوجه بالاصعمة والصلصة في الاطباق الفارغة

- أعجبك الحيّ؟

- شبيه ببعض أحياء مصر ولكنه أهدئ قليلًا

- كنت أتمنى النزول إلى مصر ولكن لم تتيح لي الفرصة أبداً أن اتنزهه حتى خارج الحيّ هههه

- مايشغلك ؟....لم أرى أن لديك أولاد سوى ماريان اليس كذلك؟

- بمفردها تكفي أن تجعلني أحسب خطواتي ،لم أستطيع تركها ولو ساعة كاملة أخاف عليها خاصة لو تعب قلبها ،لم أكن مثل هؤلاء الأمهات الذين يمتلكون قلوب لم أعرف مادة صنعها يتركون أولادهم وتحدث الكوارث

شعرت آمنة بأن هذه المرآة الأجنبية تقتلها بالكلمات هؤلاء الاجنبيات الذين يتحدثون عنهم بأنهم لا يشعرون ؛شعرت بأن لو أجتمع قسوة ما في قلوبهم جميعاً ربما تكن قسوتها هي الغالبة ،چوليت تسكن في بيت مكون من غرفة واحدة بيت أصغر حجماً أقل ترتيباًأفقر حالاًمن الذي كانت تعيش آمنة فيه في مصر ولكن هذا البيت تسكنه ماريان كما لو أنها الجوهرة الموضوعة بحرص داخل صندوق خشبي قديم لولا جوهرته لكان رميَ منذ زمن هذا

الاختلاف الوحيد بين آمنة وچوليت ؛چوليت يغنيها المكمون وآمنة تنظر للهيكل الخارجي الذي لايغفر لة مايكمنه

*****

على أثر الضوء الساقط واجهت آثرة شوائب المرآة مما جعلها توضع القليل من الكحول المطهر على ورقة جرائد مطوية والقت بها على زجاج المرايا لتلميعها ولكنها فشلت فى إزالة بعض النقرات المشوهة للرؤية على سطح الزجاج وضع لاجين كفة على يد(أثرة) لتتوقف عن التأرجح على الزجاج ويستطيع رؤية هيئته بعدما اختار ذهابه لچودت شاكر ببدلة البحرية بعدما انتهى تدريبة في الحربية و التحق بها

- لماذا لم ترتدي (تاييرك) الجديد إلى الآن؟

- ستظل تفكرني بهديتك؟هههه

- هههه لن أقصد،ولكن سيارة خالي چودت باشا على وصول ولهذا الوقت انتى لم تكوني جاهزة،ماذا أفعل معك!

- لاني لست مقتنعة بما تفعله لاچين ،طول هذة السنين لم أحب أن أقوم بزيارة لأخي في منزله حتى ولو أنقطع عن زيارتي ،أنا لم احب ادخل بيت ولم استطيع رؤية سقفة من ارتفاعه وبعده وكثرة المصابيح المعلقة به ولم أحب أيضاً إستقبال الخدم على أي ظرف ولا السير الطويل حتى نصل لنقطة نسأل حينها أنجلس هنا؟ بعدما أكون مررت على مساحات متداخلةبالمنزل.

- كل بيت له قواعده

- وكل نسب له قواعده ايضاً،وليس بهذه السهولة

- أفهم ما تلقي به لكن هل لايفضل چودت أبن من ربته لبنته ؟! أتختلف أخلاقي ؟علمي ثقافتي!

- نذهب للزيارة اليوم ولكن لا تفتح أي موضوع ،نتفق؟!

- تأخرنا يا أمي ،اليس كذلك!

- كانت فى ذلك الوقت چيهان فقط هى من تتذكر موعدهم في حين إنشغال من يجب عليه إستقبالهم أولاً.

كانت قد أشتريت فستان أحمر منذ عام من محال(شكوريل) مطعم بفصوص اللولي على الوسط أرتديت معه القبعة البيضاء (الشابوة) وجلست فى الحديقة لتكون أول من يستقبلهم ،رأت چيهان لاجين عدة مرات ولكنهم مروا سريعاً اما من تلقب بعمتها فهي لم تتذكر ملامحها ربما رآتها من زمن بعيد عندما كان يطل والدها عليها وياخذها معة لحي باب سدرة وكانت تنظر على الأطفال وهم يلعبون بالشارع بعين التمني وهم يحسبوها عين التكبر والشفقة ،كانت تشغل قطعة التريكو الابيض حين سمعت (عم دسوق) وهو يفتح لهم المجال ليوصلهم لداخل حديقة المنزل وظلت تتأملهم اولًا من بعيد ثم وضعت ما كانت تشغله وسارت نحوهم حتى اقتربت من ملامحهم؛ يوجد بهم شئ يرجع بالزمن لسنوات طويلة وكانهم يربطون بين عالمين.

بدات آثرة تسلم عليها باستحياء مما جعل لاجين يشعر أن ما قالتة أمه عن الفرق كبير فعلاً وعدمه فى خياله فقط.

مابين نظرات لاچين لچيهان الغير مبررة وابتسامات چيهان التي لم تعرف هي ذاتها مصدرها ونظرة الست آثرة للساعة مابين الحين والآخر حتى أخبرها العصفور الذي خرج من الساعة المعلقة بتمام الساعة أي أنهم وصلا من الربع ساعة و لم يأتي چودت أو شويكار لإستقبالهم سوى خادمة أعتذرت عن غياب شويكار بسبب إصابتها بصداع مفاجئ ،كانت تود أن ترحل لولا ملاحظة تشبث إبنها وملاحقة نظراته لچيهان والشعور بارادته لو قضى اليوم بأكملة معهم ،كانت بداية غير مبشرة لاحظتها أمه ولم يلاحظها لاچين الذي أخيراً جاء بذهنه السؤال عن خاله بعد مرور هذا الوقت فاعتذرت چيهان

وصعدت لتبلغ والدها فهبط واضعاً يده على كتفيها يستقبل أخته بالتهليل الواضح أنة مبالغ فية من أعلى الدرج

مع كل هذا كان لا يدور في عقل لاجين سوى انه أقترب من أن يصبح قبطان بحرياً ويمتلك تدريجياً مايشابه الذي هو جالس به كضيف الآن وتكون ملكته هي ذات الرداء المشتعل ،ظل يفكر داخله كيف له أن ينطق العبارة (فكرت أن أتأهل ولم يوجد أنسب من أبنتك)؟ بالطبع لم يوجد أنسب من أبنته ولأي شخص على وجه الارض واكيد هو يعلم ذلك ،أيدخل من بداية خاله في الحارة القديمة ويذكرة بمشواره وانه سيصبح مثله في يوماً ما ؟لا ....سيعتقد أني أذكره بأيام فقره.

- في ماذا شرد عقلك يا لاچين ،صحيح تهانئي لك على قبولك والتحاقك بالبحرية كان قائدك يبلغني أفضل انجازتك الدراسية وكنت أشعر بالافتخار بك

- كنت احلم بالبحرية وحضرتك حققت لي ما أتمناه وأريدك أن تحقق لي حلمى الثاني في الترتيب مع أنة كان وسيظل الاول.

- هههه ما هذا اللغز يا لاچين ،لم أعلم أنك طموح لهذه الدرجة ....شاركينا في الحوار يا (آثرة)

- أمامي عام تقريباً وأصبح قبطان رسمياً وبهذا اكون حققت نصف ما اتمنيته والنصف الآخر هو....أن اناسبك رسمياً فى چهان

- چهان ابنتى!ولما چهان ! تجعلنى اتصور ان منذ صباك لم ترى غيرها بحارتكم أو انكم تربيتم معاً هههه(شعر لاچين وكأنما خاله يكمل حديث والدته التي قالته قبل المجئ)

- لم تتربى فى حارتنا ولكن حقيقى لم ارى غيرها منذ صباي منذ كنت تحضرها معك ؛لن تذهب صورتها من عقلي أبداً وربما كانت هى من وراء تحقيق جميع اهدافي.

- جميع اهدافك!اعلم يا لاچين أن ما وصلت آليه هو بالطبع صعب چداً في تلك الظروف التي تعيشها وأعلم كم جاهدت معك(آثرة)لتوصل لهذا ولكن هذا ليس كل شئ ولا آخر شئ يجب أن تضعه في حصيلة أهدافك،انا بدايتي من الحارة التي عشت أنت بها تخرجت محامي صغير ووقتها توقفت عن آخذ أموال (آثرة)وأعتقدت أنني أريحها بهذا ولكنها تزوجت رجل مريض تعلم إنقطاع عمره ومع ذلك قالت انا حققت أهدافي وخرجتك أتركني أفعل ما أشعر به وأخذتها العواطف وتوفى قبل حتى أن تنجبك ....ماذا فعلت بتفكيرها اجعلنا نتكلم بصراحة يا لاچين....أليس هذا الذي حدث آثرة ؟تذكري وذكري ابنك كان سيظل هذا حالك أن تفعلي ذلك أو حالة هو أيضاً؟!

-انقلب وجه چيهان....أخذت آثرة تتجلد داخل مقعدها وبدأ لاجين يشتعل وجه

- لم افهم إجابة طلبي چودت باشا!

- وبما أنك أزلت خالي من الجملة هذا يعني أنك بدأت أن تفهم كيف تكون عملياً ،تعلم أن سيدة ثرية جداً كانت تريد چيهان لابنها مع ذلك لم تتسرع فى الطلب مع أن ليس لديها ما يعوقها ولكن فضلت ترتيب افكارها وما سيجني من هذا الجواز وللطرفين لم ترتب بدلة وحلوى للزيارة ولكن رتبت أوراق ؛خطوات لسنين قادمة وها هى طلبت چيهان أول أمس لابنها.

= هذا يعنى أن ما سمعته حقيقي؛ تلك السيدة تريدني لابنها المعاق!

- چيهان !انتهى دورك من فضلك لا احب سماعك لأي حديث يدور الآن.

- أي أوراق چودت باشا تقصد؟! هل للزواج اوراق غير التى تعرفها أيوجد اوراق قبل التقدم للزواج من ابنة خالي؟!

- تقول ثانياً أبنة خالي!اخرج القرابة والنسب من أي نقاش معي ،الأوراق المهمة ياسيدي تتمثل في أن يوجد بيني وبين تلك السيدة مشروع سيقام

ويجب أن نكون يد واحدة انجتمع ونجعله يشمل جميع الأطراف ام نتفكك ونختلف ....انا صريح معك

- تعطي چهان مقابل ورق !مشروع !چودت باشا يبدل لحمه بالمشاريع ،كنت أعتقد أنك ترفضني لأنك تشتري أبنتك من الفقر وليس لبيعها

(كانت أول صفعة يعطيها له چودت باشا منذ كان يحمله عالياً ليداعبه حتى أن أصبح على مشارف قبطان،اخذ امه التي صمت اذانها عن ما حدث ،بعد المشهد عن مرئى چهان التي كانت تقف اعلى الدرج تحاول تكذيب ما قاله أبيها على مسامعها وتقنع حالها بإن ماقاله لرفض لاچين لاأكثر.

******

على باب أحد الدكاكين القدامى سحب رياض كرسي صغير مصنوع من خوص بطريقة يدوية وجلس علية باستحياء

- كوب قهوة لوسمحت

- مع أن هنا ليست قهوة شعبية ولكن أوامرك

هم بالنهوض وأعتذر .....انا أسف أعتقدت...

- يا عم أنا أمزح معك ....أترى الزبائن يصطفون بالمدخل! ....أجلس أحضرلك جريدة؟

- يوجد جرنال أعرف من خلاله أخبار ما خارج مصر؟

- وبدأت تتأمر هههه.....أحضرلك ما تشاء من عيناي....ولكن انت من أي بلد؟

- ممم من الشام

-أحسن ناس

أحضر الحاج كوب القهوه وجلس أمام رياض وهو يحتسي القهوة الساخنة التي يتصاعد منها الأبخرة في كوب زجاجه مغري ثم تذكر انه نسي إحضار فنجان الضيف فضحك وأعتذر له وبرر ذلك بتقدم السن

- طمئنت على بلدك؟.....ام مثلنا كلما قرأت قلقت اكثر هههههه
- لا يوجد جديد ....الأحوال متشابه ....سارية ولو بإي إتجاه .
نظر إلى حال البيوت في تلك الحارة تبدو بسيطة ولكن حية تنبض من كل زاوية
- هل يوجد شقة صغيرة فارغة يمكن أن اجدها بهذا الحيّ؟
- بهذا الحي!...يظهر عليك انك من عائلة ...ستتحمل العيش هنا!قل لي يا أبني اين تعيش الان؟
- فندق بوسط البلد ولكن لن أعتقد أنني سأستمر به لمدة طويلة ...أريد منزل
- ماذا كنت تعمل ....أو ماذا تعمل الآن؟
- مممم كنت أعمل فى النجارة ولكن الآن متوقف
- على أي حال سابحث لك عن طلبك ...تعلم لو كنت جئت قبل رأس السنة لوجدت الست آمنة كانت تعرف البيوت جيداً لأنها من تأتي بالزبائن وتسكنها وترتب الشقة ايضاً وتعرف ما يليق بكل شخص ولكنها للاسف تركت بيتها وذهبت
- أين كان بيتها ؟
- الدور الاول هذا ....تصدق ذهب عن بالي .
- أفكر به .....ولكن بعد القاء النظر عليه
- تاتي بعد يومان وتأخذ قهوتك وسأعطي المفتاح لأبني عصام وإذ عجبتك سأعطيك عنوان أختها ليست بعيدة وتستأجر منها
-على وفاق....أراك لاحقا ....سأذهب الآن ولن أتأخر عليك.
-وستجد طلبك يا أبني بإذن الله.

*****

-امين مَن؟...من اى عائلة ؟

- لم أتذكر ياروز سوى اسم والدته رقية الماجري...تعرفيني لا أنتبه كثيراً أثناء حديثهم

صمتت روز قليلا وهي تحضر أكواب الشاى على الوابور الصغير داخل المحال ثم تجمدت

- ماذا !! أنتي تقصدين أمين ابن رقية أرملة الماجري!

- والله! وماذا أقول أنا من أول القعدة!

- أتاكد فقط....وتستهزئي بالحوار الذي دار بينها وبين والدك وما سمعتيه يقوله والدك ل لاچين!

- من أين عرفتي أن ابن عمتي يدعى لاچين!

- انت من قولتي لي من قبل....هذا ليس موضوعنا الأن

- انا لم أستهزأ ولكن لم أخذ الموضوع على محمل الجد ايضاً ياروز ...ماالذى سيحدث سوى ضياع وقت في مهاترات معه عن ذلك الأبله السكوت سينسيه الموضوع

- چيهان ...انتي تعلمي من رقية الماجري جيداً! أغذريني فيما سأقوله رقية أمرأة غنية جداً أكثر من جودت باشا والدك بمراحل لديها معارف كثيرة ولكن لايرحب أحد بنسبها أبداً لكثرة المشاكل بعائلة الماجرى بالإضافة لمرض ابنها ومشكلتها فى السنوات الاخيرة ...انها تريد اثبات قدرة ابنها على الإدارة وتبطل سمعة بلاهتة لهذا تريد تزويجه

- لو كانت هذة فقط مشكلتها كانت احضرت أي بنت من بنات الريف وزوجته لها وقد حلت

- هذا هيكون اكبر دليل انها زيجة مأجرة هى تريد شئ محكوم وطبيعي وايضاً انجاب طفل من عائلة لها اسم مثلكم وعندما وجدت والدك لا يمانع أمام المال تشبثت بكِ ....الموضوع ليس مزاح...فكرى بة قبل ان تتفاجئ باى شئ ....هذا غير أن..

- غير ان ماذا ....ماذا يحدث أيضاً وانا لم اعلمه
- سمعت منذ فترة عن علاقة والدك ب رقية ...ولكن لست متأكدة من شئ أنا اقول ما سمعته فقط....وهذا ياكد أن ما سيحدث يجب الحذر منه.

****

ربى چاك شاربه ولحيته السوداء القاتمة عيناه أصبحت أكثر جحوظاً نال قسطاً من التعليم لم يأخذه منذ صباه كان يُدرس له جغرافيا الوطن العربى تفصيلياً بالإضافة للغة العربية،حددت البلد الذى سيكون بها بمجرد انتهاء التدريب ولكنها ستظل مخفية عنه لحين تجهيز اوراقه وعند السفر سيعلم بما يجب أن يفعلة وباي مكان سيكون ،كان چاك يحاول تخيل ذاته بين يدى چوليت من جديد لقد ايقن له كل الموجودين ان منذ صعوده فى سيارة الترحيل الى ذات المعسكر الذى كان يستوطن تحت الارض كانت تكتب شهادة وفاته وفى كل تدريب عمل جاهداً لينجح بة كانت تختم تلك الشهادة ،كل مافعلة ليعود لماريان بحياة أكثر تقدما كان وهم تلك الحارة التى كان يكرة وضاعتها كان ملك بها وجعل من نفسه فأر طعمه المؤن التى ترسل لزوجته وابنته كل شهر ،فأر تجارب واداة للأستخبار ربما يتخلصوا من عائلته بأكملها مع الانتهاء من تنفيذ الأوامر،سمع من بعض الجنود الذين معه ان أغلب بلد يخشونها ويجهزون لها هى مصر وفى الغالب ستكون هى مقصده فى الأشهر السابقة وبمجرد وصولها سينقطع عن أهلة جميع الخطابات منهم واليهم .

****

هبطت علي درجات السلم الحلزوني المكسو بالسجاد الاسود يظهر علي ملامحها السكون والحزن مهما ابتسمت سحبت لها (نادية) المقعد الخاص بها ليكون الكل جاهز للفطور بوصول(جودت شاكر) ،طالما كانت تريد جنات اخذ المقعد الذي بجوارها لنادية فهي لا تحب غيرها ولا احد يجعلها

تظهر ثنايات حول فمها غيرها من اثر الابتسامة علي الرغم من عدم مقدرة نادية علي قراءه ولو جملة مكتوبة فهي قادرة علي قراءة الحزن :الصمت في اوقات معينة:الظلم مع عدم البوح بما رأته او سمعته تحسبها جنات احيانا انها الملاك الذي سيسئله الله عما كان يحدث بهذا الخندق فلم تشعر به كالسكن يوماً، تذكرت موقف ما حين رأت أقدام (جودت شاكر) تظهر قادمه من اعلي درجات السلم

في مثل تلك الساعة منذ ٣ سنوات مضت كنت اجهز حقيبة مدرستي واعطيها لنادية لتهبط بها وتتركها علي المنضدةالصغيرة لأتناول فطوري ويوصلني أحدهم الي مدرستي وفي يوم حقدت علي نفسي وانا أعطي لنادية الحقيبة فلماذا هي الاخرى لم تجهز للذهاب لمدرستي او مدرسة اخري فهي لم تكن متقدمة بالعمر ربما عامين ثلاث علي الاكثر خطفتُ ما اعطتها تحمله وفتحت باب غرفة والدي مندفعة نظر لي من خلف نظارته الدائريه الكبيرة

-كنت اعلم ان ما انفقه في المدارس لم يعلمك شئ

فهمت ما يقصده وهو عدم الاستئذان ولكني ناقشت الموضوع وسئلت دون ان ابالي

-هل استطيع ان اخذ نادية الي المدرسة معي

-بالطبع خذيها وبهذا يكون البيت صافي دون نساء اليوم فانتم صنف مزعج

اقترب من وجهى وهو يتحدث فابتعلت رئتاي رائحه السجائر ،خاصه السجارة الضخمة التي تنفرج شفاه وهو يضعها

-اقصد ان تدرس معي في الفصل

ضحك بصوت جعل ما احمله يهتز في يدي

-حبيبتي (نادية) تعمل لما تذهب للفصل؟ ارسلوها والديها لتعمل هنا كخادمة وتكفي نفقاتهم كما انفقوا عليها في الصغر سيأتى الوقت الذي تردين فيه انتي ايضاً ما انفقدته لا تقلقي

ثم ضحك ثانيا ،تركته انا ولم اتذكر حتي اخذ طعامي ؛هل هذا هو تنفيذ لما قاله بان يجب عليّ اعاده نفقاتي له ولكن بطريقةأخري.

كان مقعد شويكار هو المقعد المقابل لچيهان والاثنان مجاورين لجودت ؛جاءت عينها فى عين شويكار سريعا فانتهزت الآخرى اللحظة وبدأت بالحديث

- كيف كانت جلستكم مع عمتك آثرة هانم

- اول مرة تطلقين عليها هانم كنتى دائما تُحفظيني انها السيدة آثرة ،الم يحكي لك أبي عن الذى حدث !

= أمك كانت متعبة أمس ولم اشغل بالها بتلك المسرحية التى عرضت هنا بفناء السرايا من قبل لاچين

-هههه فعلا امي كانت مسرحية رائعة واندمج فيها ابي ومثل معهم بقول ان ابن السيدة التى زارتنا من يومان سيصبح خطيب لى هههه أليست لطيفة تلك الكذبة؟

- على أى كذبة تتكلمين چيهان! الم تقول لها ياچودت ؟....بالفعل حبيبتي طلبتك هذة السيدة وأنا وابيك نرى أن هذا ربما افضل عرض للنسب جاء إلى الان فهم من افضل العائلات

- انتي أيضاً تعلمين؟! انا اخر واحدة اعرف مع ان مفروض أن أكون من اول الناس فهذا موضوع خاصتى ،أيوجد عروض قبلها اذن؟!

=چيهان ضعي فى اعتبارك أن الانساب لا تنعقد كما يفكر هذا الولد الاحمق السطحي و....

- وايضا ليس بعقود الأراضى والاتفاقات

=كل مستوى اجتماعي وله احكامه فى النسب والارتباط وفخامة العائلة ترجع لاسمها بالمجتمع ولا يوجد فقير له اسم

-يوجد فقير له عقل....علم....ثقافة....مركز اعلم انهم جميعاً لم يرضى بهم الكثيرون ولكنهم يكفونني واعتقد أنهم لم يجتمعوا فى ابن تلك السيدة ولكنهم يجتمعون فى الذي رفضت فقره.

اللقت ما بيدها بيدها فى طبق الطعام وتركتهم ناظرين لبعضهم لتغيرها نهج خطتهم.

*****

أنت صاحب القرار جملة قرئتها علي ورقة بالية معلقة علي باب محال من الداخل غلق للأفلاس .

فرحت لقراءتها وشعرت بنشوة غريبة هزت اوصالى علمت عندها أننا لا نمتلك القرار حقاً ومجرد كلمة تعطينا الأمل أننا يوماً ما سنمتلك سعادتنا نشعر بذلك الاحساس،ضعاف نحن!

ماذا يقصد بانة صاحب القرار هل أغلق لأنه شعر يوماً بانة لا يريد هذا المجال أم أفنى عمره وشعر بذلك بعد ضياع العمر فكتبها لنا حتى لا نقع في فخ الاختيار الخطأ ،ضعاف نحن هوية وادراكاً.

ركل حجرة تعثرت بها قدمه وأكمل سيرة حتي وجد حانة قديمة في حي لا يشبه لها وكأنها بنيت من ذلك الردم الذي أزيل قبل الرصف بالمكدام ،كانت قد أوشكت علي استقبال الزبائن دخل وجلس علي اول مقعد مجاور للباب حتي لا يرقد بالشارع ولا يجلس بأكمله داخل الحانة برائحتها الهزيلة التى تهد من عزيمة كل من يدخلها فتشعره انه لا يقدر سوى علي النسيان.

أواني الخمر الفارغة الاكواب الملقاة من أثار معركة ضعيفة بين رجال ذهب عقلهم يتذكرون امر داخلهم فيلقون بعضهم بالأكواب دون سبب واضح ويتبادله الأخر وكأنه معه فى ذلك الأمر داخل عقله .

كل هذة الفوضى داخلى تلك الأكواب المتسخة المقاة هناك تحت البار لا تختلف عن طموحي شوهته أمي ثم ألقت به وأطاحت بعمري فى اللاشئ والكل شئ بالنسبة لها ،ذلك العمال المجبرورين على العمل فى ذلك المكان القذر هم (حليمة)تمام؛ عاشت تحلم بشخص تراة جميلاً وسيماً كل مايميزة حاجباه الثقيلان وشاربه التركى وهذا أقصى طموحها الذى أعاقها على سذاجته الآن.

*****

باب غرفته مغلق طوال الوقت ربما يعيش على المياة الراقدة فى (القُلة) المعلقة بالنافذة ومعلق هو نظره بها فى طول أيام اجازته،انزعج من إلحاح آثرة المستمر رغبة فى ادخال الطعام له بالغرفة فاغلق الباب من الداخل بأحكام حتى جعلها تشعر أنة يعاقبها هي ولكن على أى شئ يكون العقاب؟ لأنها رفعت شأن خالة فى عينيه وجعلته على قمة الاخلاق والمبادئ التى انهارت أمام لاچين فى أول مواجهة !،ام لأنها ساعدته فى رفع شأنه حتى أصبح لايقبل بالارتباط بماهي أقل منه إجتماعياً وثقافياً وفى ذات الوقت لم يقبل به من يرى نفسه مساوياً لهم،ام يعاقبها لأنها هى فقط من تجعله غير مساوياً لهم وتذكره بالبداية دائما ويشعر كما شعر خاله بتخلص منها بعيداً وكره ظهورها لأنها بوجودها تخبر الجميع بداية عكس ما يتوقعوها.

-لاجين مازلت لا تريد التحدث معى! ....لهذا الحد اكون طرف فى تعاستك.....على أى حال ساترك لك الطعام على الباب واذهب بوجهى الذى لا تريد رؤيته يالاجين

فتح الباب فجأة وهو يظهر على وجه الشحوب التام قائل

ا- هذا الطعام بالذات لا أريد رؤيته أمواله التي تتمثل في كل شئ اكره ريحتها اكرة ما تتمثل به وبأي شكل ...سأحرق كل ما آتى باموالة والآن

بدأ يجمع جميع الملابس الذي أحضرها له ...أليست هذه البدلة الذي احضرها عندما أخذت البكالوريا مع سائقه وخاف أن يتعرض للحرج عند الدخول في الحارة بالسيارة الفارهة وتلك الساعات التي كان يرسلها فى الاعياد وهذة الكرافات .....

اخذ بهم جميعاً واللقى بهم فى بئر السلم ثم سكب فوقهم ماتبقى من جاز داخل الوابور الذى تضعه امه دائما بجوار الباب نظر لها فوجدها تنسكب دموعها وتنظر له خائفة الايكون قد فقد عقله فأكمل ....

-لعل يصل له دخانها مبلغاً اننا لم نقبل بالصدقة وإذ قبلنا بها من قبل فلم نكن نعرف بمسماها داخله ،ستعودين لبيع الدواجن وسأعمل حمال حقائب فى الإجازات أو اترك دراستي ونهائياً إذ لزم الأمر .....تسمعينني؟ كل مليماً مِن مَن يرانا نستحق العطف لا ارضى به وللابد.

*****

اخذ ذراعها خلف ظهرها عندما رفضت استبدال زجاجات النبيذ الفارغة من خمارته المفضلة

-رائحتها مقرفة ولا اطيق حملها وخالتي قالت لي لا تذهبي لذلك المكان لان الذهاب له حرام

- النعمة محرمة ياكافرة....نعمة النسيان محرمة ....أمك ذاتها ذهبت لبلاد لا تبيح سوى الحرام .....تركها لك لدينا هو ذات الحرام بعينه.

- ايام وتعود وسأحكي لها عما قولته عنها

- هههههه اياااام أتعتقدين انها فى الحارة التى بجوارنا ! ...لا ،اريدك تعلمين هى ذهبت ولن تعود وان عادت لن يكون الآن ولا بعد سنة

- سنة !....انت تكذب حتى اظل هنا واسمع كلامك

- انتى ستسمعين الكلام شأتي ام ابيتي يا حلوة كما تسمعه خالتك غير ذلك لا يوجد أوسع من البحر اشربي منه كما تشائين وكلما وجدتي كلام يقف بحلقك يا ابنة درويش

طرق الباب أثناء شجارهم وهم لم يجيبوا مما استدعى الطارق أن يثقل يده فارتعشت أميمة

- افتحي الباب...يجوز خبر عزيز

- بعيد الشر

- تكرهين أيامك هنا اكنتي تعيشين فى قصر! ..أمك كانت تعاملك مثل العبيد

=هنا منزل أخت الست آمنة؟

-أمي حدث لها شئ!

=اهدئي حبيبتي انا لم اعرفها .....أيوجد أحد للتحدث معه؟

- اى خدمة انا زوج اختها

= كنت اريد الست شكرية على ما اعتقد الاسم كذلك..لاستأخر منها شقة اختها و...

وقبل ان يكمل جملته وافق الاخر- كم ستدفع ؟

-اقابل الهانم ونتفق ...

- هانم هههه ،انا مكان الهانم أدفع مقدم شهرين واعطيك المفتاح ام تحب اقول لك انتظر عودتها من البلد

- انا خالتي ليست فى...

- اذهبي لتحضري شيئاً للضيف

- ونحن لا نريد ايجار بيتنا وا....

- ...ماذا قررت؟ ادخل لاحضر لك المفتاح ؟

= لا يوجد مشكلة ولكن كم حسابها ؟ لاذهب واحضرله لك

- خذ راحتك ....نظر على بدلته ليثمنها ثم قال له - ثمنها ليس غالى 50 قرش.....اذهب انت وأحضر اشياءك واميمة ستذهب معك لتنظف البيت.

= الا يجب أن اراها على الاقل ؟

- ستعجبك باذن الله ....على البركة

وضعت يدها على بطنها من اثر ما تشعر به من نيران وظلت تطرق بقبضة يدها على زجاج الحمام من الداخل حتى كاد أن ينكسر ،كانت فى تلك اللحظة تنظف چوليت مايظهر فى الارض من حشائش حول بيتها حتى سمعت النقرات المتعددة التى تدور حولها ولم تعرف مصدرها فأكملت عملها دون أتركيز على مصدر الصوت ثم أدركت انها تاركة اناء يغلى على الموقد بجوار (ماريان) الصغيرة القت مابيدها من أدوات التنسيق واسرعت للداخل اطفأت الهب واخذت بالغطاء على ظهر ماريان ،خرجت لتشاهد ما اربكها لتجد يد (الست آمنة) تنزلق على الزجاج من الداخل وقد اصيب الزجاج بشق بسيط ولكنة لم ينزلق هو الآخر ؛اسرعت بالطرق على باب شقتهم ولم يجب أحد تداركت أن يجب عليها الذهاب الى محال زوجها (السيد يونس) تذكرت انة الآخر ذهب منذ الصباح لمدينة مجاورة تبتعد مسافة الخمس ساعات على الاقل،ربما تجد ذلك الصبى الذى يعمل هناك ؛ذهبت وحكت لة عن ما رأتة وفشلت محاولة انقاذ آمنة بالطرق على الباب طال الوقت وجوليت لم تعرف بوضوح ما الذى حدث مؤديا لسقوطها بهذة الطريقة فجاءت المحاولة الثانية وهى كسر نافذة الحمام ولكن الصبى چوزيف حذرها من نتيجة ذلك إذ لم يوجد شئ يستدعى حقاً او أنها غير متأكدة من ما رأتة .

كسر النافذة وتناثر بعض قطع الزجاج على اقدام (آمنة) التى كانت ملقاة على الأرض قاطعة النفس فاسرعت چوليت لطلب أحد سيارات الاسعاف

التى بالكاد لن تدخل الى الاذقة فقررت القاء إحدى الملائات عليها وحملها بمساعدة(چوزيف) الى السيارة المنتظرة

احتجزت السيدة آمنة لحين مرور عدة ساعات ليقرروا إذ تسمح حالتها ببقاء الجنين ام ستفقدة ،لم تعرف چوليت بخصوص آمنة اى شئ بحكم طبعها الذى يجعل لسانها لا يتجاوز التحية مع اى شخص

استاذن چوزييف للذهاب الى المحال وانتظار السيد يونس ليبلغة مما دعى چوليت أن تطلب منة على استحياء أن يطرق على ماريان وياخذها معة بالمحال دون أن يقول لها ما يقلقها.

غلبها النعاس فى ذلك الهدوء الذى يخيم على قاعات المستشفى ،افاقت على يد إحدى فتايات طاقم التمريض وهى تقول لها مريضتك تريد أن تراكى فسألتها عن حالتها واجابتها بسرور انها بخير وان ما حدث نتيجة لأنها لم يعتاد جسمها على الحمل منذ فترة طويلة ولم يعتاد جسمها على التغير منذ أن أنجبت ابنتها الاولى كما بلغتهم تغير وجهة چوليت فلم تكن تعرف أن هذة السيدة تمتلك ابنة وبعمر متقدم!اين هى ؟على اى حال فهذا لم يكن موضوع اليوم ،شكرت الفتاة واتجهت ناحية غرفة آمنة.

****

{الضغط عليك للموافقة على شئ يجعلك ترفضه حتى ولو كان حجر عقيق سيجملك}

انا القوية التي اعطي الجميع تلك الروح التي ينظرون لصاحبتها كقوة لا تقهر ،انا التي أسقط قطرات ندى في وجه أحداهن لتفيق على ماهي مقبلة عليه ثم أهُز بكتفيها وأحدق بعيناها حتى أنقل لها اصراري على المواجهة إذ تم وضعي بموقف مماثل وأرفض لها الاستسلام حتى تصبح صورتي بمخيلتها فى كل خطوة والآن انا التي يتخيلون اني الاقوى فلا يجرؤ أحد على الإمساك بساعدي وخروجي من ذلك التابوت الاسود الموحش ،كلما فعلت شئ أذيت

به نفسي أولاً وكأنه طاقة ردع حزننا هو فقط طاقة ردع تشق قلوبنا هاأنا اجرح نفسي باطراف أناملي حتى يحرك بي الوجع دفعة ؛أخبط رأسي بواجهة سريري حتى يعاد تشغيل عقلي ليحضر لي فكرة لأقاوم بها،ليلتان عليّ بهم أن أقف كل شئ أو يحدث كل شئ يطيح بي .

تذكرت ونحن جالسين على سرير أحداهن في المدرسة وهي تحكي لنا في ساعات الليل المتأخرة قبل إطفاء أنوار عنبر المبيت عن ما رأته يوما تفعله راقصة وهي تسحب ملابسها وينتظر الرجال بلهفة هذة اللحظات ليثمن ما رأى شخص ما ويقوم ليسقط علي رأسها بعض النقود الورقية وتخلص رقصتها محتمية ببعض رجالها حتى لا يجرؤ أحد التطاول عليها كنت أعتقد أن الراقصة مثل الدمية لاتتحرك سوى للرقص وان لا تأخذ أموال مقابل ما تفعله وان لايوجد أحد يختار مهنته و الكل يولد دون أن يختار ليجد ما يعمل به.

هل أنا أقل حقاً في ملك جسدي من الراقصة أم انا هكذا في نظر جودت شاكر ليسمح بأحد بالتطاول والمرور عليه كل ليلة في غير رغبتي مقابل قطعة أرض ستعطيها لة ام ذلك المختل بعد أن يبيع لها أبنته لتسعد أبنها أعتقد انها كانت لاتقوى على البوح بهذا أبداً إذ لم يعطيها هو المساحة ،هل جسد من تلقب بالأميرة رخيص لهذا القدر ليباع يومياً لشخص أبله مريض يتشنج وينعرج فك أسنانه السفلى ،كيف بدأت مشوارك ليصل الي بيع أبنتك كم مرة بعت ومن ولمن ؛لم تكن بداية اكيد هذة نتيجة لأشخاص لم يقولون لا حتى وصل الخيط لعندي وها هو يمر فوقي لامسك به واقطعه ولكن ....كيف،شويكار هانم أمي كنت أظن بها القسوة الجفاء أحياناً ولكن عندما أزيح الضباب وجدت صخرة جوفاء تحتوى على صور مجوهراتها وضعت بدلاً من القلب ؛الابناء لتجميل صورة بالإطار الذهبي اللامع لكن لا

مجال للجمع بين الحب والنجاح في نظر شويكار ومن يسير على معتقداتها لا يملك أي شئ ولومعه كنوز باطن الارض.

****

نشعر بالفخر عندما ننتصر على أفكارنا السلبية؛ على تفكير وضعه شخص ماداخل عقولنا بجملة(انت لا تقدر)نشب ذلك الشعور فى جسد رياض وهو يرى العمال تصعد بأدوات النجارة وآلات تشذيب الخشب للشقة التي استاجرها وهو ينظر لهم من الاسفل وهم يصعدون بخطوات متسابقة وهو ينتظرهم بجوار محال أبي عصام الذي ازاد سعادته عندما قال له

- مبروووك يا رياض أفندي واضح أنك ستستقر هنا

- يارب....كل ماوجدته هنا يجعلني حقيقي لا أفكر في الذهاب أبداً

أقترب منه عصام بخطوات بطيئة وهو يسأله

- حضرتك مَن استأجرت الشقة؟

- نعم حبيبي وسأكون جاركم وستكرمني يومياً بتوصيل كوب الشاى للشقة فى كل صباح ونلعب دورين طاولة الاتحبها!

- هذا يعني أن أصحاب الشقة لم يعودون مرة آخرى ....مِن مَن أستاجرت؟

- انا ياسيدي استأجرت من أخت صاحبة الشقة وزوجها للاسف لم اعرف من كان يسكنها أو من أصحابها الأصليين ....الم تسعد بجيرتي أم ماذا هههه!

تركه عصام معتقداً أن أُم أميمة تركت الحارة والشقة ورحلت بسببه وربما تكون عوقبت أميمة لأنها تريد اللعب معه دوماً،صاح بة والده

- أحضر مقاعد للشباب ياولد ودور قهوة بسرعة

- ستفتحها نجارة يا سيد رياض اليس كذلك؟ولكن أيوجد محال نجارة داخل شقة!

- هههه ليس كذلك بالظبط....أريد منك خدمة ولكن لم اعدك بان تكون الاخيرة

- ياااة انت تؤمر.....طلبك

- أريد أن تجمع لي أصحاب عربات (الروبابكيا) وتبلغني بمعاد تواجدهم جميعاً

- روبابكيا! أحدهم اخذ منك شئ لاسمح الله

- لالا فهمتني خطأ أنا أريدهم في عمل سيعود عليهم بخير أن شاء الله، بلغهم ولك حلاوتك بقدر دهاء ماتحضرهم لي.

- بمإن الأمر هكذا سأحضر لك من خيرة شباب السيالة يكونوا موجودين فى قهوة الانفوشي يوم الجمعة بعد الصلاة

يوم الجمعة

- صباح الخير يارجالة ....انا المهندس رياض هل أبلغكم (ابو عصام)سبب الاجتماع؟

- صباح النور....للاسف لم نفهم ماهو الشغل الذي تريده مننا...نحن وظيفتنا (سريحة) لم نعمل عند احد نحن مجرد وسيط بين من لديه (كراكيب) وأصحاب الورش القديمة

- بالظبط وهذا ما اريده منكم مع إختلاف ....أن تكونوا وسطاء الىّ انا فقط بمعنى سيستمر عملكم كما هو شراء الخردة والأخشاب القديمة التى استغنى أصحابها عنها ولكن ستأتون بجميع الاخشاب لورشتي،سأعطيكم عنوانها.

- ولكننا ملتزمين مع ورش كثيرة ونعمل معها من زمان ولم نقطع معهم

- كم تأخذون منهم ؟....سأعطيكم الضعف بالإضافة إلى انكم ستكونوا فى عمل ثابت وليس (سريحة) كما انتم الآن وكما يطلق عليكم ،وعند كبر حجم الورشة ستظلون معي عكس ذلك الورش الذين يستبعدونكم عند وصولهم

- انا معك....وانا معك...وانا معك وأجري على الله

- وكلنا مع الله يارجالة ...على البركة.

*****

1951

مقهرة ومخادعة أحلام اليقظة تجعلك قادر على قتل أحدهم والفتك والتمثيل بأشلاءة ثم تدخل فى نوبة بكاء عندما تعلم أن هذا لن يحدث سوى فى الاحلام

{يابدع الورد ياجمال الورد
يابدع الورد يا جمال الورد
من سحر الوصف قالو عالخد
الورد الورد يا جماله
الاحمر من بدعه وجد وهيام يالطيف}

سقطت دمعات چيهان للمرة الأولى على كلمات تلك الأغنية بعدما كانت تعشها ،امتزجت الكلمات بالمشهد ففقدت رونقها كان يضع لها الكوافير اللمسات الأخيرة على شعرها أزالت يده من فوق رأسها وركضت نحو النافذة كانت تنتظر نادية لتحضر ما وعدتها بة روز قبل أن تبدأ مراسم موت روحها

- انا جئت چيهان هانم

- اخرج خارج الغرفة....قذفت الكوافير ومساعديه للخارج وأغلقت الغرفة عليها هى ونادية

- ماالذي أعطته لك روز؟

- ذهبت معي لصيدلية الاسعاف وتكلمت مع ممرضة هناك بصوت منخفض و أنتظرناً قليلا حتى أحضرت لي تلك الزجاجة قالتلي روز أن أضع منها في كأس العريس الليلة وبعد ذلك من يجب عليه وضعه فى الكأس هو انتي ولا تنسي فعل ذلك كل يوم

- ما الذي في تلك الزجاجة ؟

- لم أسمع سوى أسمين أغرب من بعض .....ماذا سمعتي يانادية ماذا سمعت (كانت تتذكر نادية أي اسم سمعته بالظبط)

- تذكري سريعاً

- هم عبارة عن دواء مخدر ..منوم شئ شبيه بذلك ....سأضعه فى حقيبة الملابس قرب انتهاء الفرح

- أحذربي أن تنسي يا نادية ...روز قالت لكِ مواعيد محددة لة؟

- لا...قالت لي أذ صدر منه أي تصرف لم تقبليه ضعيه له فى اى مشروب أمامك أقل من 5دقائق وستجديه غير قادر على فعل أي شئ ....تفهميني؟أي شئ

- فهمتك.....أجمعي أغراضك لن أذهب لبيت رقية بدونك وإذ سئلتك شويكار هانم قولي لها أن هذا طلبي الوحيد فهذه الليلة.

- لاتخافي سأظل بجوارك من الليلة

*****

هنا...هنا ضعهم هنا ...وهذا ضعه بالداخل ،كان يشير (رشاد زوج شكرية) عن أماكن وضع بعض الصناديق المحملة بالبضائع هنا وهناك حتى أشار لهم بدخول بعض الصناديق بالغرفة التي تنام بها أميمة حتى أمتلأت الأركان وأشار على زوجته بازالة مايكسوا السرير لوضع ما تبقى من صناديق

- وأميمة! أين ستنام؟!

- باي مكان ،سأخذها فى أعتباري لكل خطوة اقوم بها ! أوقفت اميمة المناقشة على مكان نومها من قبل شكرية ورشاد حتى لا يبدأ الشجار امام العمال ثم اقترحت انها ستنام على الاستراحة التى تجاور الباب و قابل الاقتراح بالرفض من قبل شكرية واقترحت نومها بغرفتهم فاستشاط غضباً ثم استقر الرأى على اقتراح اميمة وظلت بهذة الوضعية ٣ايام بجوار الباب حتى أن جاء اليوم الذى أستيقظت فيه عندما شعرت بأن شئ ما قطع

الهواء عنها ففتحت عيناها لتجد ذلك الأسنان الصفراء برائحتها المدفونة تضحك وهي على مقربة من وجهها

- لماذا تجلس هكذا؟ابتعد قليلا لا أستطيع التنفس

- هيه تريدي أن نجلس فى الهواء

- ما بك يا زوج خالتي انت بك شئ! اين خالتي....خاالتي شكررية

- أخفضي صوتك ....خالتك نائمة ..تعالى ندخل بغرفتك أريد اتحدث معك

- تتحدث معى فى اى شئ؟ ....ابتعد عن معصم يدي ....الم تجعل من غرفتئ مخزن لماذا تريدني أن أدخلها الأن؟

- غبية مثل خالتك ..بدأ الشجار بينهم بملامسة (رشاد) لها ودفعة قاسية من أميمة واستمر الحال حتى لمحت عيناها عصاة حديدية تركها أحد العمال بجانب الباب فاخذت بها ضرباً فى جانبه ما نتج بة عن مشهد جعل أميمة تتراجع وتلتصق بالباب وعلى أثر ذلك الاصوات استيقظت (شكرية) التى وجدت المشاهد جميعها تختلط ولم تفهم شئ وفى مقابل صمت أميمة تركت المجال لإلقاء اكذوبة من أكاذيب رشاد الذي قال:

- وجدتها تحاول فتح الباب وتستعد للهرب فحاولت الامساك بها وتهدئتها لأعرف ما يضايقها فقامت بضربي المجنونة هذه البنت مكانها الشارع

- ماذا فعلتي يا أميمة ....ماالذي حدث لاتخافي ....أفهمينى

ظلت أميمة ساكنة لا تتحرك حتى عندما هرولت خالتها للذهاب لاقرب مستوصف، كانت اميمة تفكر هل ما فعلته سيناسب ماكان يريده أم هى أخطأت وشكت به حتى قادها الشعور بأنها على صواب وان نظراته وجلوسه بجوارها فى ذلك الوقت يناسب النتيجة التى قامت بها تمام.

*****

- عناصر زخرفية صغيرة متعددة عندما تراها لن تفهم السبب وراء جمعهم معا وعند النظر إليهم بشكل معكوس تراهم وجة كبير يضحك علقة العامل

لدى بعض المحال استعداداً للافتتاح كانت تلك اللوحة التى تحمل اسم المكان باسفلها الشعار الذى اتخذه رياض لورشته التى أفتتحها منذ فترة وأصبح قادر على الانتشار وتُزين لوحاته الخشبية وجهات كثيرة من المحال خاصة الغير تقليدية ؛تنحت اللوحات بيدة لتتحول من خشب خردة وبقايا تحرق فى كثير من الأوقات عند الفشل فى استخدامها مرة أخرى إلى لوحة تباع فى بلاد كثيرة بعدة جنيهات (فى ذلك الوقت) ،اصبح لرياض عُمال تركيب ونقل داخل الاسكندرية واحياناً خارجها لكنة مازال يعمل داخل تلك الشقة الصغيرة، يغلق العمال على البضاعة والأدوات كل ليلة ويغلق هو على احزانه بداخلها ويهيم بحدائق الاسكندرية حيث تستقر نفسه على التجوال لشغل ذاته كالطفل بالاضواء واحيانا صوت الخناقات ،نظر لوجه رجل متقدم بالسن ارهقه التجوال فجلس بجانب تمثال محمد على بالميدان ماسحاً جبهته ؛ياخذ رياض مثل تلك المشاهد؛ ثم أعاد النظر محدثاً نفسه لماذا كل كبار السن تظهر على ملامحهم الطيبة التى يصدقها الناس ويتعاطفون معهم حتى تقوم بعض الناس بمساعدتهم ولوكانوا مقبلين على صنع كارثة أو ايزاء أحد فدائماً هم على صواب ولكني أراهم دائما اروع ممثلين أعطتهم الطبيعة جميع ادوات الاقناع من جلد مترهل وصوت حنون وعينان ذابلتان وعقل لايستهان بة خزينة لجميع الأفكار والأكاذيب والمبررات فلايبذلون اي مجهود لنيل ما يريدون سوى إطلاق بعض الجمل تجعلك تحاسب نفسك وتلومها إذ لم تصدقهم

(ابهذا العمر واكذب!....صدقنى انا افهم عنك بكل خط محفور بوجهى من آثار الزمن....عندما تصبح فى مثل عمري ستتصرف كما افعل الان....) كلمات لا تعود علينا بنفع سوى زيادتنا بلاهة وغلق عقولنا وهز رؤسنا بالموافقة حتى الرفض اصبحنا نعيب قوله فى وجههم وهم مخطئين والسؤال الأهم الذى لابد من إجابة عليه ما الذى سيعود علينا من هز رؤسنا؟؟؟

قطع جواب صديقه علوان والقاه فى البحر .....الذى ابلغه فية ب {رياض...حاول ان تظهر وبأي شكل أكتملت سنة على غيابك هذة المرة لم اكتب لك بخصوص زين ابنك أنا أكتب لك بخصوص أموالك وأموال والدك قبلك قامت والدتك أول أمس باجتماع يرأسة محامي العائلة لنقل الملكية إليها بحكم ان جميع العقود والاتفاقات متعلقة باسمك المختفي منذ سنة من جميع الأماكن هنا واشك انها إذ وصلت للقضاء ستوصل لكل شئ وتمتلكه ....لاتخسر كل شئ ياريا من فضلك.}

****

وضع كلتا يداه على المكتب امام وجهه جاستين الذى كان منهمك فى عمل جداول ما

- جووووون متى وصلت؟

- من ساعتين و 15دقيقة هههه

- يالها من دقة واين كنت طوال الساعتين وال 15دقيقة؟ ذهبت للمنزل؟

- لا كنت في المكتب عند السيد بيرم سلمت التقارير وساسافر ثانياً اليوم بالليل

- أنا لم أراك ياجون ..أنتظرك بالمطار حتى استطيع قضاء وقت معك!

- تتذكر أول يوم عرض فيه علينا العمل وكان دوري هو السفر وجمع التقارير وفرحت من بلاهتي به هههه وها أنت تجلس مثل السفير على مقعد جلدي ناعم وتنام في سريرك وأنام انا في مقاعد الطائرة

- تحقد علىّ ؟نبدل أدوارنا!؟أسافر أنا لأماكن البحر واغير الهواء من حولي كل يومان وتجلس انت هنا بين الحسابات الصماء؟!

- كل مننا أختير لما يليق به هههه ياخي چاستين

- هكذا! الى أي بلد هذة المرة؟

- مصر ...بلد العجائب اتمنى أن أرى كل جزء بها

- متحمس لها انت جداً اتمنى ان لا يخيب ظنك هذة المرة
- لا أطمئن هههه،اتركك انا لأستطيع سرقة بضع ساعات قبل السفر
- لا تنساني بما ستجده هناك هههه.

*****

#الجواب الاخير

[حياتك تسير الآن كما تمنيتي دوماً بدونب صافية لا يوجد بها من يوقظك على شجارات وهو يقذف باواني الخمر لتأخذي ماريان بين ذراعيك خوفاً عليها منه أعلم أيضاً انك متعبة تائهة بين مبرر غيابي للبعض وبين أن تحى بامان انتى وماريان ،انا أكتب لك تلك الكلمات وللاسف لن تنتهى بميعاد عودة أو وعد طال تحقيقة ويصعب علي ولكن اذكرك انني حاولت ،حاولت لأعود إليك وانا شخص آخر لاريحك من أعبائي ووجودي بضعفي ،هذا هو الجواب الاخير لحين نتلاقى مرة آخرى انا ذاهب لبلد عربية بهوية واسم مختلف لا أعرف ما سأقوم به هناك ومتى سأعود فقط أريدك أن تضعي صورتي بجانب ماريان وتزرعي داخلها حبي الذي أنا عليه الآن داخل قلبها]

طرق الباب بيد آمنة التي أصبحت بطنها ممتدة قليلا طويت چوليت الورقة ووضعتها داخل جيب قميصها وتأكدت من المرآة إن آثار الدموع قد أختفت من عينها ثم أفسحت لآمنة الطريق

- كنت أظنك نائمة ياچوليت ،لماذا لم تأتي لي منذ فترة هل أزعجك شئ؟
- كنت متعبة ، أتحبي الوقوف معي قليلًا حتى أُحضر الفطار للسيدة ماريان ونكمل حديثنا
- متأكدة أن لم يصدر منى شئ تسبب في مضايقتك ؟
- ألديك أبنة؟ أين هى!
- من أين عملتي بهذا الموضوع ،من يونس؟

- بالتأكيد لا ،أنا لا أسال والسيد يونس لم يحكي شئ لي شيئاً ،علمت منذ يوم المستشفى وآثار فضولي عدم وجودها معك ،هل هي على قيد الحياة؟

- نعم چوليت على قيد الحياة ونعم انا تركتها وجئت بمفردي إلى حياة لم تختلف كثيرا عن التى كنت بها ولكنني لم اتركها بالشارع انا تركتها بمكان تعيش فية وجئت لمكان استطيع انا ايضاً العيش به ،من كان يستطيع حِملنا نحن الاثنان! يونس ذاته الذى تضعيه فى مكان الرحماء هو من رفضها

- هو ليس والدها اكيد لم يامرك بأن تتركيها وترحلى معه انتي من اخترتي هذا بل واخترتي إنهائها من حياتك حتى لم تذكريها!.

حملت چوليت ما صنعته لإطعام ماريان وتركت الأخرى بردهة البيت دون أن تتفوه بكلمة ذائدة وانطلقت حتى رفعت الأخرى صوتها

- انتى ايضا جوزك تركككم لذات السبب حتى يستطيع العيش ،احيانا النجاة بالنفس تصبح افضل من المخاطرة فى الاستمرار

*****

چهاان....چهاان استيقظي

- ناادية ...مائة مرة اقول لك لا تمدي يدك لتوقظيني ،عندما يرتاح عقلي سأستيقظ ....اذهبي

-انا لست نادية يا چهان انا رقية هانم

- ...رقية هانم ..توقظيني بذاتك! اكيد حدث الذى يستدعي لذلك .

أصبحت چهان تتحدث دائما وهى تحت تأثير اللاوعي من آثار ما تحتسيه يومياً ،استمرت فى وضع ذلك المخدر (اكثر هدية نافعة أُرسلت لها على الاطلاق) فى كأس (أمين) واحياناً مرتان حتى أصبحت حالته فى ازدراء اكثر من ذى قبل وعقله بات مغيب أكثر حتى ثقل لسانه ،لم يتغير أي شئ فى حياتها سوى سعيها الدائم لكسر رؤسهم جميعاً ،بعدت عنها روح المثالية وحب الحياة والألوان الزاهية ورائحة العطور منذ اليوم الذى اخذت فيه

ورقة فحواها انها أصبحت زوجة ابن الماجري وأصبح من وقتها أهم ما يجعلها تنظر فى ساعتها هو مجئ معاد المخدر لتظل زوجته على ورقة ستتخلص منها قريباً

- چيهاااان...انتي نمتي ثانياً! والدتك شويكار هانم بالاسفل تنتظرك ....ولا أفضل إرسال الخادمات لاوقاظك وأنتي بهذه الحالة التي لا أستطيع تسميتها يا ابنة چودت

- هيه لم أصبح ابنة چودت تفهمي الموقف...وبالتالي لست ابنة من تنتظرني،لا أُريد رؤيتها تلك العجوز التي بالاسفل

وقعت ثانياً على وسادتها بعدما كانت تسند جسدها من الخلف بثني ذراعيها

- ....قومي....قومي معي چيهان

أخذتها الى الحمام المستقل بزاوية الغرفة وأمسكت بؤخرة رأسها لتغمسها تحت الماء الجاري ...رفعت الأخرى رأسها بعد فشلها فى التحدث تحت الماء

-....انا أصبحت فى أفضل حال ..أنظري اليّ انا أصبحت واقفة على اقدامي ...اخرجي اخرجي لا تقلقي نفسك أبداااا.

قذفت بها الى الخارج وأحكمت الباب على نفسها وجلست خلفه ممتدة ارجلها وهى تضحك ضحكات عالية

- أذهبي الى مؤامراتك ومواضيعكم العظيمة والمدبرة انتى ومن تدعي هانم وابلغيها أنني لم أمتلك شئ يمكن المؤامرة عليه ،رفعت كلتا يداها للاعلى ثم أصدرت صفقة وطرقت الباب بقبضة يدها.

*****

كانت شكرية تضع كل ما يخص أميمة في حقيبة قماش صغيرة وهي تحاول كتم شقهاتها المتلاحقة حتى سمعت أميمة صوتها ودخلت لترى ما يحدث

- ما بكِ خالتي؟

- ...اخو رشاد مريض ويجب علينا الذهاب لنطمئن عليه و...

- انا اعرف ان لم يوجد أحد مريض وانتم لم تذهبوا إلى مكان ....انا من يجب على الذهاب

أزالت الأخرى دموعها بطرف غطاء رأسها ثم أكملت على كلام أميمة ...- هذا أمر مؤقت أميمة صدقيني حتى اقنعة بعودتك للمنزل ثانياً

- ولكني أريد الذهاب لبيتنا وعدم العودة على أى حال....فقط اخرجي المستأجر منه ونجلس بة سوياً

- أي مستأجر....لم يفتح أحد شقتكم منذ ذهاب امك

- جاء شخص من فترة طويلة يرتدى بدلة غالية ويوحى منظره أنه ليس من هنا وطلب الشقة ووافق زوجك وأخذ منه نصف جنية على كل شهر حتى ضربني عندما رفضت الذهاب لتنظيفها لأجل المستأجر

- أنتي متاكدة!؟

- كما كنت متأكدة دوماً أنة يكرهني وأنتي لم تصدقيني

ذهبت بناحية النافذة لتنادي عليه وتعرف حقيقة ما سمعته فلم تجده يجلس مع رجال الحارة بالقهوة المقابلة للبيت كعادته ولكنها سمعت إدارة المفتاح في باب الشقة الذي أصبح يغلقة عليهم في حصار من ذلك اليوم الذي أُتهم فيه أميمة أنها تطاولت عليه

= هذة البنت مازالت موجودة ؟! لماذا لم تلقي بها وبملابسها البالية في الشارع

- أُريد النصف جنية الذي تاخذه عن بيتنا اولاً

كان يشرع في قلع حذاؤه لقذفها به فاخذتها شكرية خلف ظهرها وتصدرت أمامه

- رد على البنت يا(رشاد) و رد علىّ انا أيضاً ما قصة تاجير شقة الست التي تركت أمانة بيتها لنطمئن عليه من حين لآخر وما قصة ما تجنيه وانا لم اعرف حتى ان يوجد شخص طلبها منك

= كنتى تعتقدين اني سانفق على ابنة اختك من جيبي اتريني أعمل بالمحافظة ثم جاوبيني انتي، أين النفقات التى وعدتُك أختك بارسالها بمجرد الوصول لبريطانيا هى وزوجها ام الهُبت البلد بما فيها وذاقت العز ونسيت تلك اليتيمة وتتهموني انا بالقسوة وخيانة الأمانة وها هي تركت أمانتها الوحيدة وخلعت يدها

- خالتى،هل حقيقى امي سافرت! هذا يعنى أن ما كان يقوله لى حقيقى ولم يحكي لى كلام حتى يغضبني فقط!وهل فعلا تزوجت! وما تلك البلد التى تحكون عنها؟

- حقيقي آمنة سافرت ولم أعلم متى ستأتي وكنت اتركك للأيام تعرفي منها وها جاءت

=...على يدي....انتهي هذا الفيلم خذي هذه ولا اريد رؤيتها ثانياً دقائق وسأقول لكي اذهبي معها ولن تعودي

حملت حقيبة أميمة وأخذت بها وهم ينكسهما قلة الحيلة منذ أن بدأت حياتهما.

- الى اين ذاهبة بي؟

- صديقتي تعمل بدار بعد شارعين من هنا به بنات كثيرة ستجلسين يومان ثلاث على الأكثر معهم حتى ارسل خطاب ل(آمنة) لتاتي وتاخذك معها

- تعتقدين ستأتي! وضحكت ضحكة باستهزاء

- تمزحين أميمة! طبعا ستأتي ألديها اقرب منك ليفزع قلبها لأجله!

وصلا الدار الذى تتقدمه يافطة كتب عليها "دار رعاية للبنات" افزعت تلك الجملة أميمة وشعرت أن محطات حياتها تسوء كل محطة عن التى تسبقها ويوم بعد يوم.

كانت تلك السيدة صديقة خالتها توبخ بعض البنات اللاتى تخطين حاجز المدخل وقاموا بالهو فى ساحة الاستقبال الخارجية وتمسك احداهن بجديلتها وتلفها حول معصم يدها مما افزع أميمة للمرة الثانية وأدى إلى انتباه خالتها التى اثنت عليها قائلة:

- انتى هنا ستكونين ضيفة عند صديقتي ولست من بنات الدار كهذه ،اتفهمينى؟

لم تجب أميمتها ،أصبحت لم تصدق ولم تستوعب كلام أحد او الأصح لم تثق به فنكثت رأسها التى رفعتها لها تلك السيدة وهى تقول:

- حبيبتي لا تخافي انا أتشاجر معهم كهذا طول اليوم وأحبهم ويحبوني،اولادى هههه،أنتى أميمة اليس كذلك ،حكت لي خالتك عنك ولكني لم اتصور انك بهذا الجمال ،تعالى معي لتعرفي مكان غرفتك لترتبي ملابسك واكون تحدثت مع خالتك .....لم نجلس للتحدث لمدة طويلة منذ زمن يا شكرية .

دخلت اميمة غرفتها وظلت ممسكة بالباب حتى تسمع ما كانت تنتظر لتتاكد منة

- ستعرفي كيف توصلين لامها؟

- لم تتأكد من ذلك ..وعدتها بوعد لم أعرف كيف يتم تحقيق ووعدت اختي بوعد لم أوفى به

- على الاقل انتي وعدتي وتحاولي لكن امها ذهبت بدون حتى أن تودعها وها أرى قلبك مفتور اكثر من أمها ذاتها.....انا سأجعها تقيم فى تلك الغرفة عدة أيام حتى تعتاد على البنات ثم تنتقل للمبيت معهم لا تقلقي ....ماعليك

سوى الاختفاء حتى تعتاد علينا وتعودي لها انتي بأي كذبة من حين لآخر فى حين عدم الوصول لامها.....سنتحل صدقيني.

*****

ميناء الإسكندرية

-حضره المقدم شاهين،زوجة الكابتن عصام اتصلت وبلغت بعدم حضور كابتن عصام علي سفينة غداً ً لتعرضه لكسر في الساق

— واصابة ! هذا ما كان ينقصنا لقد اكتملت،أذهب للإدارة بلغهم واحضر لي بالرد حالًا

أعتدل المقدم شاهين ليفرد ظهره باقي ٥ ساعات ليكتمل له يومان لم تدب قدماه خارج المكتب في ميناء الاسكندريه يشاهد السفن تزفر بالانين عند رحيلها وتعلن غضبها باطلاق الدخان حتي لا تثير الحزن في قلوب من يودعون أنصافهم داخلها فتحيل بينها وبين صوت بكائهم،تثاقلت رأسه اصبح من الصعب استمرار حملها وضع رأسه وحواطها بيداه ،الاوضاع متوترة الاوامر تجعله حبيس لمكتبه ومراقبة شواطئ الميناء ليلًا والان اصابة كابتن عصام من اكثر الكفاءات التي تحتمل معة هذه المشقة فهو يتحمل عدداً كبيراً من الرحلات سنوياً،رفع رأسه مجهداً وقد آتى شخص الي مخيلته (القبطان لاجين) نعم هو، تم تعينه منذ ٦ اشهر لا اكثر ولكنه عند حسن ظني وكان عند الظن في كل مره حتى عندما كنت أفتعل له بعض الازمات حتي أرى كيف له ان يحلها ،أعتقد هو جاهز لازمات اليوم ولعل يكون هو محلي بعد المعاش الذي أتمناه اليوم قبل غد.....صول أحمد ...أتصال عاجل لكابتن لاجين ابلغه بان مكانه اصبح محل كابتن عصام حين شفاءه اجعله جاهز لمضاعفة رحلاته لمده ٣ اشهر قادمة

-ينفذ.

****

سارت وكأنها تعد خطواتها واحده تلو الاخري يهتز خلفها شعرها البني المموج كبحر في ليالي سبتمبر تختلس نسماته ذيل فستانها مما يجعل خطواتها ثابتة

تعمدت خلع حذائها (البلارينة)الابيض لتجعل قدماها تجس الارض المضلعة اضلع بارزة رطبة من أثر الندى ،أرتكزت علي قدماها لتظهر وكأنها تظبط حذاءها تبريراً لخلعه فشاهدت وجهها البيضاوي بجبهتها الصغيرة من خلف ايشارب به ثقوب منسدل من أعلى رأسها لتصل متخفية الي المكان الذي اصبح المفضل لها منذ شهرين.

-كأسين من مشروبي ياااا رودلف بليز

أختارت چيهان مكانها على البار بجواره وهو محتل جزءاً منه عليه كأس فارغ محاط بالسجائر الملتوية ،نظر لها في سكون وعاد النظر امامه وكأنه ينظر الى صفحة بيضاء ليس بها اي شئ ولو كأنه صُم عن اصوات الموسيقى ثاقبة الاذن وأنعزل

نظرت جنات الي الحركات التي يقوم بها (فتى البار) بالاكواب الفارغه ف الهواء لجذب الزبائن.

-تفضلين يا ملكة السهرة. قالها ذلك الفتى لچيهان يعلم أنها تجلب الجميع للجلوس بجوارها من نظرة

أرتشفت من الكأس ثم وضعته حاملاً علامه شفاها امام ذلك الشخص الهائم

-غبت طويلًا أين أنغمست؟

-أنا! أتحدثيني انا! تعرفيني؟

-ليس بالضرورة معرفتي بغيابك تعني إني أعرفك ربما أجدك تغوص في مكان بعيد من نظرة عيناك

-وهل تهتمي لأي شخص تجديه هائماً؟

ترك (رياض) مقعده المرتفع ووضع الكأس الذي وضعته امامه جانباً وخرج في زحام

شعرت وكأن حاله مختلف عن الموجودين فالكل جاء لقضاء ساعات الليل في هذا الصخب ولكن ربما جاء هو من مكان صخبه اعلى بكثير من هنا.
رفعت يداها بصفقة عالية لانتهاء الرقصه ثم تناولت ما تبقى في الكأس على جرعه واحده وهمت بالرحيل ثم تراجعت خطوتين قبل المرور من الباب تذكرت وضع ذات الايشارب.
راقبته الى اين ذهب فوجدته جلس مربع الأرجل على الرصيف المجاور للحانة اقتربت وجلست بجانبه وهى تحدثه وقد ثقل لسانها قليلا من اثر ماتناولته من النبيذ
-ماذا بك ؟ وضعت يدها على رجله فادار وجهه لها فاكملت
...ما الذى يضايقك من الحياة!؟ باعك أحد وألقى بك! يكفيك انك حر يا جاحد للنعمة ،انت راجل حر لو ألقيت بظهرك على ذلك الرصيف لا يوجد من يتكلم معك
- ....شششش انااا هاااارب
- هارب!
- منها ،هارب منها وهى تلاحقنى باستمرار ليس حباً فى لالا حباً فى أن تجعلني هكذا مثلما أنتي تنظرين لي الان ،تجعلني هائم على وجهي حتى بعدما تركت لها بلد كاااملة وذهبت
- اها ،تعتقد أن ما تقوله يجعلني لا اهرب ! قالوا لك أن تقنعني بوجود ما هم اسوء منى حالًا حتى ارضى اليس هو كذلك؟!
- أذهبي ،مجنونة أنتي ،لاأريد من يتخبطون أمامي يكفيني أسند ذاتي اذهبسي
كانا الاثنين في حالة غريبة من آثار السم الذي وضعه أقرب الناس لهم في حياتهم أختلفت چهان كثيراً منذ الأيام الأولى من جوازها بإبن الماجري بدأت تدخل أماكن كانت تكره أن تسمع عنها وتحتقر ما بها دائماً وتقول ما الذي

يجبرهم على الدخول الى الخمارات وما الذي يشربونه ليذهبوا الى عالم افتراضي سيعودون منه حتماً حتى علمت أن الساعات القليلة بهذا العالم الافتراضي هي من تجعلهم قادرين على العيش في عالم يتحركون فيه كالمارونيت ،أما رياض فقرر ترك كل شئ كما هو حتى لو فتكت أمه باموااله حتى زين لم يأتي بذهنه وأسماه زين بن حليمة فهذا الجواز كان من طرف واحد من الأساس لما ينسب له من لايريده ؟

****

كان الصوت الصادر من الهاتف الصندوقي الاسود قادر على إيقاظ حارة باب سدرة باكملها وقد لا يكفي ذلك رفع سماعته طفل صغير كاد أن يغلقها بعدما سمع صوت ضخم يخرج منها فاخذها منه والده الذى يقف بجاوره يعلمه كيف له أن يقول (آلووو)

- مَن على الهاتف ؟

- هنا منزل القبطان لاجين؟

- انتظر لحظة سأحضره لك....نحن المحال الذء بأسفل البناية

نادى الولد بصيااح (يا ام لاااجين) فخرجت الاخرى من النافذة تبعد غسيل جارتها التي تعلوها و يغلق الرؤية عليها

- أسمها يا ام القبطاااان....ماذا تريد؟

- تليفون يريد لاجين...اقصد القبطاااان لاجين

حكمت ربطة رأسها وهرولت لتوقظه ،بات لاجين فى الفترات الأخيرة كثير النوم ؛ثقيل العقل من كثرة عدم استعماله ؛قليل الحديث مع اى احد سيرهقه أو يسئله اسئلة مزيلة بلماذا (لماذا لم تختار عروسة الى الأن؟) وكانة ينتظرهم ليفكروه بذلك ،دائماً تصدر ذلك الأسئلة من فم سيدات لديهم من هن مقبلات على الزواج

- انا فى أجازة .....اليس لي حق حتى في النوم؟!

- على الهاتف من يريدك ربما شئ يخص عملك يا ابني
هبط على درجات السلم التى أصبحت أكثر تعرجاً من ذى قبل وبات جدرأنه يخشى أحد أن يضع يداه عليه حتى لا ينحل منه شق ،امسك بالهاتف فإذ بالهاتف قائدة يبلغه بالتعليمات الجديدة التى ستنفذ من غد منهم السار وهو مايخص مضاعفة مرتبه ومنهم المرهق الخاص بأخذ حصة زميله فى الرحلات والرد كان ب ينفذ يا فندم ووعده بزيارة القبطان عصام للاطمئنان على صحته
- صعد وهو يحدث نفسه - ما الذى افعلة أثناء اجازاتي سوى النوم! ،أبلغ الست آثرة بالتغيرات الجديدة التى ستطرأ على مواعيده وطلب منها تحضير حقيبته فقامت بتحضير عدد من الصوانى التى تحتوى على المعكرونة المتوجة بالجبن والزبدة والمسقعة التى سُبك لحمها بالسمن فاطلق لاجين ضحكة طال غيابها
- وها انا عرفت ما الذى يجعلني انام طيلة اليوم.

****

شارع المعز هو أول مكان جاءت اليه اقدام چون ،لم يعرف ما يحتويه الشارع وكيف لكل بناية أن ترد على ما تجاورها بسنين عمرها وتاريخها وتتوالى المحادثات بينهم حتى نصل الى اخر الشارع بحصيلة مساجد وأسبلة وبيوت تحمل بصمات لمن عاشوا به ،كانت بدايته من باب الفتوح الذى يستقبل من يمر به ببرجان يمتازوا بضخامتهم يحملوا حكايات تأسيس مدينة القاهرة على يد جوهر الثقلي ،سار وهو يتحسس بعض التحف المعلقة لفت نظره رجل يقف داخل اناء ويتحرك يميناً ويساراً نظر لتعبيرات وجهه إذ به تعبيرات جادة وليست ضاحكة ومع تكرار رؤية أشخاص مماثلون لفعله فهم انه كان يستخدم وسيلة تقليدية لتنظيف الاناء النحاس لجعله

يبدو ناعما بعض الشئ وذلك باستخدام الرمل وارجله معاً،كان المنظر حوله يجمع القاهرة بنواحيها فى مكان واحد؛فخلفية المشهد تنم عن ثراء عاشوه المصريين فى يوم ما اما الواجهة فتتمثل فى بائعين يتمنون الخلاص من بضائعهم والخلاص من لهيب الشمس معاً فيلقون بها امام المارة ويسألونهم عن السعر المناسب لهم ؛ اعجب چون باحدهم وهو ينقر على الخشب بأسماء أشخاص ولكن جميعهم باللغة العربية فساله چون عن هل بإمكانه صنع سلسلة شبية ولكن بحروف إنجليزية فطلب منة الآخر أن يرسم له تلك الحروف على ورقة ،جلس بجواره لنصف ساعة يحتسي مشروب مميز وجده لدى بائع يطوف به فى شارع المعز (عرقسوس) حلو في بدايته ثم يتقاعص حلوهه ،انتهى الصانع من السلسة التى تحمل اسم ماريان فقد صنعها چون لارسالها لأمه عبر مكاتب البريد وذلك بعدما سئل عن باقي التحف المعلقة لديه فأجابه أن بعضهم تخص ورشة فنية للاخشاب فى مدينة الاسكندرية تدعى ورشة (رياض أفندى) فطلب منه اخذ واحدة وكانت عبارة عن بورتريه لفهدين متقابلين الأوجه ،أخرج النوت الخاصة به ودون اسم تلك الورشة واكمل سيره يشاهد الأبنية المتقابلة يتخيل من كانوا يعيشون بها وهم يقفون بالنوافذ كأميرات الحكايات القديمة وأميرات ماوراء النهر، قطع ورقة وكتب بها

{عزيزتي ماريان ،أشتقت لضم ذراعيك ،كل يوم اضع أمامي مدة محددة واقرر عدم انتهائها الا باجتماعنا من جديد ولقد اقترب ،هذة سلسلة تحمل عطري وعطر بلد لم أرى مثيلتها فلترابها رائحة وها أنا الآن عرفت لماذا كنا نطمح فى تملكها يوماً}

چون

طويها وقرر إرسالها من أقرب مكتب بريد يراه ولكن ذلك قبل السفر الى الاسكندرية مباشرة حتى لا يستدل أحد عليه من الچواب وعند وصول

الجواب سيكون وصل هو ذاته الى الاردن (لإرسال الجوابات يأخذ فتره فى ذلك الوقت).

وفى قطار الإسكندرية الذي أستقر عند سيدى جابر حيث أعلنت ساعة المحطة للقادمين وصولها لمنتصف الليل فسأل چون عن مكان قريب للمبيت حيث أستقر على إحدى فنادق الرمل لحين استكمال تقاريره والعودة الى الاردن .

جلس چون فى الردهة المقابلة لبوابة الاستقبال فى إحدى الفنادق لحين انتظار الرد عليه باتاحة غرفة فى ذلك الوقت ،مرت ساعة ولم يتحرك أحد حتى بالنظر اليه مما استدعى أن خروجه عن الصمت بلهجته الإنجليزية موبخاً احداهم عند مكتب الاستقبال الذى كان يستلم منة رياض مفتاح غرفته بعد يوم شاق فى عمل الورشة وجاء ليستريح فى المكان الذى اعتبره بيته الذى لا يفكر فى الرحيل منه مهما أصبح قادر على السكن مستقر بشقة فارهة ،تبادل رياض مع چون بذات اللغة مما جعل الاخير يشعر بالارتياح لوجود من يفهمه ثم اخذ رياض منه طرف الحديث وتبادله مع الموظف الذى اعتذر له عن عدم وجود غرفة الليلة وان الوقت متأخر وان هذا الضيف ربما لا يجد سوى المكوث بالبار أو الاستقبال لحين موعد تسكين الغرف فى الصباح ،كان لرياض وضع فى الفندق مما قضاه من وقت معهم فطلب من الموظف أخذ بياناته ويسكنه معه إلى حين الصباح رفض چون ذلك فى بادئ الأمر ثم نظر حوله وجد أن الظلام يشتد ولاول مرة يكون فى بلد غريبة بمفرده.... فوافق.

سئل رياض عن سبب مجيئه الى مصر بدون حجز مسبق فى اى فندق فأجابه على حذر بأن عمله يندرج تحت السفر السريع من بلد إلى اخرى وأن كل ماعليه بعض التقارير عن ما تحتاجه كل بلد وتقوم شركته بتصديره ،اخرج له مثال اعجبه وهو ذلك البورتريه الذى اشتراه من المعز ويريد

الوصول إلى صاحبه لمشاهدة المثيل وتصويره فوتجرفياً وعرضه على المستوردين ،التقطه رياض من يده وهو يضحك

- هذة هي التحفة التى تريد الشبيه لها! انا صانعها ثم أخرج له رياض ميدالية صغيرة نحتت بذات الشعار بين ثناياها فضحك الاثنان على تلك الصدفة ووعده رياض باصطحابه الى الورشة فى الصباح وان أحب أخذ بعض عينات معه لا يوجد لديه أي مانع.

****

تسَلم الملابس التى قد أُخذت منه منذ ما يقارب سنتان وتسلم باليد الأخرى مظروف يحتوي على عناوين سيستخدمها عند الوصول إلى الأراضي المصرية ،تحسس لحيته ثم سئل قائده عن ما يحتويه الظرف فألقى عليه اسمه الجديد (رؤوف معالي) واعاز عليه ببدأ التحدث بالعربية ونسيان اسم(چاك) تماماً من اليوم.

جلس (رؤوف معالي)(چاك) قديماً أمام القائد الذي وجه له الحديث الذى لا ينساه

- رؤوف ،نحن نرتدي تلك البدلة لنكون تحت ما تؤمر به هذة البذلة ولنعرف جيداً ما يجب علينا فعله لتظل على اجسامنا وتعلق صورنا بها بعد الموت،فهمت؟! اهم ما يميز رؤوف الآن لحيته السوداء وبحة صوته وصمته الدائم

- غادر رؤوف الاراضي العربية تماماً فى عام 33اى ما يقارب من العشرون عاماً لم يظهر لأحد معظم مَن فى مجموعته مستمرين فى عملهم الى الان لكنه هو اين؟! توفي بعد ٦سنوات أثر سكتة دماغية هنا ببريطانيا ولكن هل احد يموت هنا دون معرفة من هو! عند ترقب الجوابات المرسلة اليه وجدناه رجل مهم وسط جماعته الذين يسعون لايزاء كبار المسؤولين بزمام الأمور وفى ذات الوقت يقّوون ذاتهم علمياً ولغويا ليحلون محل من يقعون

بهم ،جواباته إليهم مازلت مستمرة؛ اعلان سفره إليهم قد أرسل وها هو الآن رؤوف يُحضر لمقابلتهم

- انا!

- نعم،لن تكون بمفردك أبداً يوجد آخر بداخلهم منذ عدة شهور سيكون بجوارك ،مايجب عليك فعله بعد ذلك لا يجب عليك معرفته الأن ، ما يجب عليك معرفته فقط هو انك رؤوف وكل ما تفعله سيكون صواب لانه حقيقي انت تعرف الاماكن والهجة اكثر منه لو مازال على قيد الحياة ،قوي قلبك يارؤوف.

****

ازداد نبض قلبي وشعرت بهبوط مفاجئ وكأن ذراعي الأيسر يميل ولا أقدر علي رفع رأسي نظرت جانبي لم اجد مساعدى حتى اعطيه امانة القيادة وأذهب لاتحسن؛ وضعت كامل يدي علي فخذي محاولة منى للاستنشاق فلا اجد ما يدخل رئتاى حتي مع ملازمة الهواء حولي من كل اتجاه طرقت المضيفة باب مكتبي فوجدتنى انظر علي اسفل قدماها منعرج الرأس شعرتْ بأن بي خطأ ما

-كابتن لاجين هل بك شئ؟

_اين ذهب كابتن حسام؟

_ساجعله يحضر حالا .

حضر كابتن حسام وهو المساعد لي والذي اقوم بتدريبه كما دُربت من كابتن شاهين من قبل ،طلبت مني المضيفة ان ارتاح في غرفتي لحين تحسنى فطلبت منها كوب من اي شئ دافئ وان تساعدنى للصعود علي سطح السفينة ، تركتني متكأ على سور من اضلعها وكنت اطرق باصابعى طرقات خفيفة حتي ابعد فكرة أن ينتابنى مرضى مجددا وان يقف ذراعى عن التحرك فارتعش جسدى عند التنبأ باصابتى بجلطة ثانياً توقفت عن

الطرقات برفع اطابعى للاعلي عندما وجدت أحدهم غافل هناك علي وسادة باليه في ارضية السطح ويحرك رأسه من صوت طرقاتى انتبهت اننا ما زلنا في السادسه صباحاً ولم يخترق شعاع الشمس جفون أحد ،كنت اري اضطراب الماء وذهاب طياتها وايابها وكأنها تحمل ذرات تعبى لتلقي بها هناك وتأتى لتأخذ غيرها وكأنها لا تقوى علي ألمي فتشغلني بحركاتها الراقصه ،أُحضر لي كأس اليانسون بالريحان وضعته علي السور وادرت رقبتى؛ كفى لفقراتي تعانقاً لهذا الحد لمحتْ زاوية عيني كيس بلاستيكي معقود يطفو فأشرت إلي أحد العمال أن يرفعونه بخطاف ويحضروه لي ربما يكون لأحد الركاب وبالفعل قمت بفتحه وإذ هو يحتوى علي بعض الأوراق الباهت حبرها وسلسلة تحمل صورة رجل ثلاثينى بعمامة يحمل طفل علي ذراعه وبعض النقود الورقية القليلة شعرت أنها مهملات لكن من الذي يلقي بمهملات تحتوي علي ذهب ونقود قلبت الورق في محاولة بائسة أن استدل منه علي اي لغة مكتوب بها(ة...م...ي...م...أ)وجدت تلك الحروف في كلمه تظهر في ظهر الورقة والغريب انها تختفى من الامام بفعل الزمن أو رطوبة البحر ،اعدت كل ماكان داخله واغلقته بعقدة مماثلة وطلبت من احد أن يضعه في غرفتى الى أن احد يسال عن ما بداخله .

***

اكتسبتُ جرأة أكثر من قبل بكثير يعتقد البعض انه نتيجة لزواجي ولكن هذا نتيجة الظلم والقسوة أصبحت أعلم أن الاظافر الناعمة والقلب الرقيق والصوت المنخفض يجعلك لقمة سائغة يمضغونها ثم يلقون بها من أفواهِهم ،اخذت نفس عميق وفردت ظهري وادخلت حقيبتي أكثر في ساعدي ثم رمقت عيناي مرآة فى مدخل البناية الصاعدة بها فالقيت نظرة على فستاني الأرجواني والحزام الفضي وأحكمت شابوه رأسي ثم صعدت الدور المقصود ،لم أجد من يستقبلني فى مكتب المحامي (مأمون) جلست على

المقعد الجلدي ولم يوجد سوى انا ورجلان متباعدين فى الجلوس مر وقت قليل حتى ظهرت من ترتدي جيب قصيرة سوداء ورفعت عيني لأجد قصه شعر على جبهة مستديرة وهى السكرتيرة التى ستسجل أسمي وأبلغتها

-چيهان أبنته

-ابنته!

- نعم قولي له ذلك

ثم سئلتني سؤال آخر وهو سبب المجئ فوجدتُ حاجبي يرتفع قليلًا ونظرت لها نظرة أربكتها ثم أجبتها مع تنهيدة

- شراء.....عقود شراء

أعطتني ورقة لأكتب التفاصيل وأكون جاهزة عند الدخول بها ،شعرت وكأنني لم اقوى على الكتابة نسيت كيف يمسك القلم أم الاوراق أصبحت لن تعتاد علىّ وتذكرت رائحة مدرستي ودولاب كتبنا بالمدرسة والسير فى الطرقات ليلاً للدخول إلى جناح به إحدى صديقاتنا بعد نوم المشرفة،انحنى قلمي فى محاولة لتذكر ما مضى وطُبعت بقعة حبر من آثار إرتكاز القلم بالورقة لمدة طويلة فنمت على كل ما أشعر به

-مودمازيل (انسة) چيهان.....هو فى انتظارك وأشارت لي بالدخول

جلستُ انا من شرودي ثم وجدته يقف للترحيب بي فوقفت لاسلم عليه وأقبله ثم انتابنى لفحة سقيع وتلعثم لساني وتجمدت أطرافي حتى قطع هو كل ذلك

-چودت باشا لم يحدثني بشأن شراء لاحضر اليكِ فى السرايا .....ولكن ما الذى تريدي شراؤه؟

-نفسي.....روحي.....أريد أن أشتريها لأحررها وسقطت قوتي فى دمعة أنا چيهان وفقط انا لست ابنة چودت شاكر أبداً .... أتعلم لماذا أخبرت سكرتيرتك بانني بنتك لأنك الوحيد الذى لم تمضي على عقد بيعي عندما

طُلب منك ذلك .....الوحيد الذى رفض أستكمال مراسم تقسيم الجسد .....الوحيد من انتاب أطرافه قشعريرة الاستياء ولم يتجرع كأس على شرف جسدي

والآن انت من تستحق أن أقول انني ابنته واقف أمامه لاريح قلبه بإن لن ولم أصبح زوجة بهذه الطريقة لآحد سوى غير على ورقة جئتك اليوم لتحفظ لي ماء وجهي وتخلصني منها.

-أقدر على شئ وتأخرت؟!

-أمين يعاني من الصرع وبعض التشنجات العصبية منذ صغره ومع ذلك لم يتناول علاج خصص له من الأطباء سوى بعض الاعشاب والمهدئات خوفاً من يعرض على طبيب ويقرر حجزه بإحدى المستشفيات وبهذا يصدر له شهادة مرضية وتنتقل إدارة كل شئ لاعمامه ففضلت أمه ترك كل شئ يبدها تحت ظل ابنها وعدم معالجته لكى تظل كل الاوراق تحت يدها ....اكتشفت ذلك عندما رأيت أمضته تشكل على كل الاوراق التى تديرها أمه

-تريدين كشف تزوير أمه والايطاح بها؟انتقاما لما فعلته بكما

-هذا شئ ليس له مجال فى عقلي.....سأتابع معك

ما سوف أفعله ....أعلم أنك لم تتحدث مع أحد وكنت أعلم أنك ستظل بجواري

أللقت ابتسامة بمثابة منحة الثقة.

***

ياقبطاااان ....ياقبطاااان .....طاقم الإنقاذ بسرعة....أحد ينادي كابتن لاچين

كلمات مبعثرة أنطلقت من عدة أشخاص في ذات الوقت عندما رأى جميع من على السفينة جسم يطفو على المياة ،كان الكابتن لاچين قد القى بنفسة فى المياة منذ أن رأى ذلك الجسم وقبل أن تخرج إستغاثة من أحدهم حتى لا

يتسبب ذلك في قلق للركاب والطاقم ،هدأت المياة أول ما أصطدم بها وكأنها تحاول مساعدته :للحظات الاولى لم يستطيع لاچين تحديد ملامح من ينقذه عباءة سوداء حول جسم صغير وإيشارب من ذات اللون جعلته المياة ملتصق بالوجه ثواني ووجد أحد مساعديه وقد ألقى بنفسه لمساعدته وآخر القى له عوامات إنقاذ أحكم لاچين الامساك ووضع العوامة حول وسط ذلك الجسم وساعدة الآخر لرفعه.

- نتصل لإبلاغ الميناء يا كابتن؟

- بلغ دكتور عصمت .....مازال على الوصول للميناء الساعة ونصف فقط لا داعي للاتصال .....إحسان اذهب لإلقاء كلمات تبعث الهدوء بين الناس

بدأ الدكتور عصمت في قياس النبض والنظر لكابتن لاچين مما جعل وجه يتغير كان يترجي الله بإن لن تكون أول حالة انقاذ بيده تموت وفي الأشهر الأولى من اعتماده على السفينة بمفرده بعد التدريب.

- النبض ضعيف جداً .....إنقلوها للعيادة لعمل اللازم.

- ما بها؟ حالتها متأخرة؟

- لا تقلق ،يبدوا أنها لم تستمر فى المياه أكثر من عدة ساعات فقط تحتاج لبعض المحاليل وستفيق ونعلم كل شئ قبل الوصول للميناء إن شاء الله

بعد مرور ما يقرب من ساعة أثار لاچين الفضول ليفتح باب العيادة ويطمئن على حالته التى تبناها منذ اللحظة الأولى قبل دكتورها،لم يكن يتصور انها فتاة تقترب من السابعة عشر فالحجم الذى حمله لفتاة لا تتجاوز العاشرة

- أنتي أميمة؟

- أنت تعرفني!

- لن أعرفك، ولكن قبل ساعات وصل إليّ ورق وكانه بيان تعريفي لن أستطيع قراءة أي شئ منه سوى ورقة طبع عليها من الخلف حبرها

فشكلت اسم مبعثر حروفه وعندما قمت بترتيب المشاهد فلا أجد غيرك ليخصه ذلك الورق ....ما الذى استدعى بكِ لتلقي بنفسك في البحر!.

- لن اعلم ولم القي نفسي...دعني أذهب.

- تفضلي ...ولكن ما قدراتك لتذهبي في عرض البحر تستطيعي الطيران!....الى اين تذهبي سنصل بعد قليل للميناء وحينها الشرطة من تقرر بعد ذلك إحضار والديكِ

- لم يوجد لدي أحد اعرفه :ابي متوفي وامي سافرت إلى بلد بعيدة جدا لم أتذكر أسمها وأخبرني....

- من اخبرك وبماذا؟

- الناس ....الناس حينها أخبروني بأنها لن تعود ثانياً

ما فهمه لاچين هو موت كليهما جمدت ملامحه للمرة الثانية او لا يعد كم مرة تشنجت فيها اعصابه منذ ظهور أسمُها إلى الآن.

- والآن اين تعيشي؟

- كنت بدار مع البنات ولكن طردت منه وذهبت ولم اتذكر الآن سوى اني هنا

- نفترض انني أصدقك ...وانهم سيوافقوا على ذهابك ....الى أين ستذهبي؟....إذ أجبتيني سأفعل ما تقولي عليه.... بصدق

- لم أعرف....ساعمل بأي مكان وأبيت به

كانوا بالفعل قد اقتربوا من رصيف الميناء مما جعل أحد المساعدين يقطع الحديث ويدخل ليناديه ،وضع يدة طاغطاً على يدها التى تخلو من المحلول الذى وضعه الدكتور فى اليد الثانية ثم قال وكانه يوضح احساسه بكذبها

- اتركك انا الآن لتحضري كذبة جديدة لأمن الميناء

كانت تفكر بالفعل في ماذا ستقوله ،ماذا لو كان تركها غارقة فى البحر وكانت تلك هي آخر مواجهة خوف لها بدلاً من ما ستواجه الان وماذا إذ

عرفوا عنوانها من الورق الذى قال أنه وجده وذهبوا بها الى زوج خالتها او الحارة القديمة أو الدار كلهم نقاط سوداء تخشى أن تواجههم مرة أخرى ،نظرت حولها الغرفة صغيرة تهتز قليلا لم يوجد بها اي منافذ لتحاول الهرب ثانياً تذكرت عندما كان زوج خالتها يقذف بها وبخالتها داخل إحدى الغرف ويغلق عليهما لمدة يومان كانت تردد خالتها دعاء تقول أنه يخص نبيّ الله الذي ابتلعه الحوت نظرت حولها ثانياً وقالت ها انا مثله تمام داخل سفينة تمثل الحوت وفى منتصف البحر ولكن الفرق بيننا انني لا اريد الخروج.

****

فتحت عيناها على النجفة البيضاوية الكبيرة المعلقة فوق السرير وتلئلئ بانوارها ومازالت الساعة السابعة صباحاً نظرت على من يستلقى بجوارها كل ليلة إلى بعد الثانية ظهراً فلم تجده ارتدت الروب الستاني الابيض ثم ضغطت على زر استدعاء (نادية) وأشعلت سيجارتها التى اعتاد كل منهما على الآخر لتهدئ من إشتعال عقلها ،أثارها الفضول للبحث عنه فنظرت من شرفة غرفتهما لتجده جالس فى طرف الحديقة مربع قدماه واضعاً يداه خلفاً مسنوداً عليها ناظراً للسماء.

{حقاً لم اريد إيذاء أحد ولم أتخيل يوماً إن سأفضل بقائي على انهيار شاب مثلك ربما لوكنت فى ظروف أخرى أو كنت انت مع شخصية طالما وجدت نفسها تحقق ما تتمناه وانت المطب الوحيد بحياتها لكانت سعت لتحويلك إلى ما يشابه حياتها ،المرأة كائن ضعيف هذا يعني ما لايفهمه الأغلبية من الرجال هذا يعنى أن يسهل اقناعها باللين يرق قلبها ويحنو أمام من يحبه حتى ولوكان يشبه وحش ذو انياب ؛المرأة مثل زهور الربيع الناضجة تمام؛ ذاهية ملساء مبهجة يلتف حولها الفراشات وتلقى عليها الشمس خيوطها؛ مرآة للجانب المبهج من الحياة ولكن إذ علم الرجل من أي جانب يتودد لها وإذ لم يعلم ستنجرح يدهه بما لم ينساه .

وقعت السيجارة من يدها فى لحظة دخول نادية

-طلبتيني؟

-أخرجي لي التايير السيمون من الدولاب

- بك شئ ؟

وضعت يدها على كتف نادية وابتسمت لها ومازال عقلها مشغول،أنتهت من ارتداء ملابسها وذهبت لتلقي عليه نظرة فى الحديقة يحملق فى السماء منذ ساعة ومازال لاتدري هل هو يحدث الرب وانه يعلم كل ما يجري ام يرى شئ لم تستطيع هي رؤيته.

-ماذا تفعل ؟

ولأول مرة تتحدث معه ويغلب على عيناها نظرة عطف لهذا المغلوب على كل شئ مثلها ولكن بطريقة أخرى ،أبتعد بنظره عن السماء قليلا ثم نظر لوجها الهادئ (زهقاااان)

مممم ثم اخذت نفس

-انا ساخذ العربية وأمر على بعض الأماكن بوسط البلد ..... تأتي معي؟

وضعت يدها تحت كفه المرتكز على الأرض وساعدته فى القيام حتى وصلت لردهه البيت تلاحقها أمه بنظراتها التى أجابت عليها چيهان

-وجدته جالس بمفرده ربما أختنق من المنزل ساخذه معي وربما نذهب للمصنع إذ لم يوجد أي اعتراض

-غريبة

-تعودي على ذلك ....أتركك مع فنجان القهوة ....رائحته تجنن

أدارت محرك سيارتها وانطلقت على البحر فى اتجاه ميدان المنشية.

****

بدأ جبينها فى التعرق عندما فتحت عيناها فوجدت نفسها فى منتصف بحر أسود يحيطها من كل اتجاه قوارب كلما سبحت باتجاه واحداً وجدته يختفي

ثم سقطت على وجهها عندما أختفت الماء فجأة ولم يتبقي سوى ارض مشققة ؛أفاقت آمنة وهى تضرب بيدها حولها مما جعل يونس يستيقظ مفزعاً عندما ضربت وجه بيدها.

- آمنة بك شئ؟ تشعرين بشئ؟

- من الواضح أننى سألد اليوم....ربما الآن

- سأطرق على چوليت لتأتي بجانبك لحين استدعاء الدكتور

- لالا لا تذهب لچوليت ...تصرف بمفردك لا أريد احد من فضلك ،من فضلك يا يونس

- أهدئي...أهدئي سأحضر سيارة

خرج واضعاً روب ثقيل فوق أكتافه وهرول حتى أدرك عقله مكان انتظار السيارات الاجرة؛انتظر قليلا وظل يتحرك فى مكانه حتى وجد احداهم يسير ببطئ أوقفه لكنه كان يبدو عليه احتساء بعض الخمور التى ثقلت رأسه طلب يونس منه الانتظار حتى عاد مسانداً لها واضعاً على اكتافها ذات الروب ،أستيقظ جوزيف على اثار أرجلهم المعروفة بجانب المحال الذى ينام هو به فوجدهم اقتربوا من بداية الممر ،تفكر آمنة طوال الطريق فلايشغلها الالم عن التفكير فمن الذي سيأتي؟ هل حقاً ما تنجبه سيصنع لها حياة جديدة ! هل سيعيش يونس ويمد الله فى عمره حتى يراه وقد أشتد عوده ام سيعاقبها الله على ترك اميمة؟!

جلست فى ردهة الاستقبال حتى حضر المختص وهو ينظر لها وينظر ليونس

- لا ارى زوجة حضرتك تتألم الى درجة الولادة!

- ولكنها تشعر بأن حان الموعد وهاذا هو ماتشعر به عند الولادة....تصرف من فضلك

اشار الدكتور لطاقم التمريض ليتم الفحص الذى ابلغهم بلزوم تدخل جراحى لإخراج الجنين الذى كان وضعه غير طبيعى .

- أفعل ما تراه فى صالح الاثنان ولا تبلغني غير بالأخبار السارة،اطلق يونس تلك الجملة للطبيب المساعد وانزوي جانباً فى ممر عنبر الجراحة ينتظرهما معاً ،اخرج ورقة كان يريد إشغال ذاته بها فبدأ برسم ورقيات صغيرة وبعض الزهور وكلما رسم كلما عليَ دبيب قلبه حتى خرجت إحدى الممرضات وهى تحمل في يدها مولوده وهي صامته مما استدعاه يقرأ تعابير وجهها اولًا قبل أن ينظر له فتعابيرها خالية غير محددة سعيده ام ستبلغه خبر مفجع وضعته فى يده وهى تقول مبروك بهدوء وقبل أن يسألها عن آمنه قالت له انتظر زوجتك فى العنبر المخصص ،كلهم بخير ما الذى يستدعي هذا الرعب نظر فى وجه مولوده وكأنه من رائحه الجنه تعطر وقد لُمس وجهه بيد الملائكة ليصبح فرداً جديداً وقد أضُيف للأطفال المنغوليين الذي أسماهم كذلك چون لانجدون داون عام 1866

****

واقفة تئن بجانب سريره قطة تفرد جسمها على الأرض وتقبب ظهرها وتدب مخالبها في ثنايا السجاد الناعم المكسوه به الارض تلف في دوائر مغلقة محاولة الإمساك بذيلها ثم ينهكها التعب فتستلقي متشنجة مجهزة مخالبها لجولة جديدة ،زُعر رياض عندما رائها انتقلت فجأة بذات الهيئة بجوار رأسه على الوسادة وشعر بزعرها هى اكثر منه اخذته الشجاعة ليمد يده نحو مخالبها فأخذت بهم إلى الداخل علامة على الهدوء

ايقظه من حلمه ال Hause keepingالذى طرق باب الغرفة من أجل أخذ المناشف ،كان وجهه مبلل من آثر ما رآه فتح للعامل بضيق لم يعلم لانه زاد على فزعه أم لانه كان يود معرفة ماذا كانت ستفعل له تلك الهرة المزعورة ،نظر لملابسه لقد نام بملابس البارحة قرر استبدالها والنزول كعادته الى مالا حيث يدرى ،بهو الفندق فارغ من الناس حتى موظف الاستقبال ليس ظاهر اقترب بعض الشئ ليعطى مفتاح الغرفة لمن يجدة فوجده نائم مما

آثار فضوله للنظر فى ساعته المعلقة بالجاكيت الذى يرتديه الساعة السادسة صباحاً! كان قد تذكر الحانة التي ذهب إليها من قبل ولكن هذا قبل النظر فى الساعة فلا يجد أحد مستيقظ سوى الطيور النشطة ،طرق على خشب المكتب الخاص بالموظف الذي أستعاد وعيه ثم اعطى له المفتاح واعطى له الاخر رقم :بوجه لا يختلف عن وجهه عندما طرق علية ال Hause keepingباب غرفته منذ قليل ،لم يجد سوى البحر ورائحته المشعة باليود للتبختر عليه هذا الهدوء هو الأقرب إلى القلب قبل ملئ الجو بذبذبات الغضب التي تصدر من أنفعالات الناس بكل اتجاه

جلس على السور القصير وهو يداعب حبيبات الرمال بقدماه التى لا تصل إليها اشاح بوجه فوجد رجل عجوز يحاول تثبيت عربة الحمص الشامى بجوار صخور السلسة من هنا سيشتري!فى ذلك الوقت والجو معاً ذهب لديه وحمل عنه محاولة تثبيتها وأخذ منه قرطاسين مع أنه لا يحب الحمص الشامي ولكن حتى لا يكسر بخاطره ويعطيه أمل بنفاذ الكمية التي معه فأصر الآخر على يأخذ ثمن قرطاس واحد وقال له (كفاية أني أستفتحت) أحب نظرة العجوز المتفائل للحياة تعطيه صبا أكثر من الشباب

عاد مكانه ثانياً ناظرا للمياه الهادئة مثل كل شئ حوله الآن :تشبه بحيرته التي تجاور المنزل ويهواها ابنه ، الوحيد من يرق قلب رياض له هو زين ولكن في كل لحظة يفضل عدم العودة؛ يتذكر في كل لحظة ان ابنه سيراه ضعيف مهزوم تسيطر عليه أمه في كل خطوة ؛تذهب خلفه وتلغي التعاقدات التي أبرمها مع أصحاب الأعمال الذي يحترمهم ويحترموه ويقع كل هذا الاحترام بمجرد دخول أمه بمثابة إعتراف منها (انا ابني ابلة) فيشعر بالاستهتار وعدم الجدية معه ثم يتفاجئ بالتعاقد انتقل لامه ،يريد العودة لابنه وهو يحمل كل خططه الناجحة ليثبت لنفسه على الاقل أنه أستطاع التفكير ،حجب عنه الرؤية شعر كستنائي قصير تمتلكه فتاة جلست على الصخرة

المباشرة للبحر يتطاير شعرها مما جعله يزفر لما قطع تفكيره ويقول في قلبه(وهاقد بدأت الذبذبات).

****

لم تنام من البارحة جالسة تنظر على حديقتها الصغيرة من أعلى ،الحديقة الجديدة التي زرعت من أجل زهور البنفسج بأمر من نادية للجانيني الجديد (رقية هانم) لم يطيقها احد من العاملين لمدة شهرين كاملين وهي ايضاً تفضل التجديد حتي لا يتداول مرض أبنها وسط العامة

هل سيتداول أسم رياض بمستشفى الأمراض العقلية بعد ما ذهبتُ به امس للكشف علية ام ستكون امه تاركة جواسيسها بهذا المكان حتى تنقذ المواقف التى مثل هذة ؟على كل شئ لم تخط قدماي هناك مرة أخرى فالطبيب الفرنسي الذى وجدته وعدني بكتابة تقرير عن الحالة وتسليمه لي في عيادته لاستكمال العلاج خارج مصر إن شئت سأسلمه لوالدته بعد الخلاص منهما ربما تجد له علاج وتتعالج هى معه بذات المكان ليرتاح البشر

أرادت أن تشعر قدماها بصلابة الشارع ليأخذ قلبها من صلابته شئ وتتوقف عن الخوف فى كل خطوة صواب تقوم بها

ارتدت بنطال أسود بنقاط بيضاء وقميص بسيط من اللون الكموني وخطت خطوات سريعة فلم تلقي نظرة على ما ترتديه اللتقطت فى طريقها حقيبتها السوداء الصغيرة الفارغة وسارت حتى منطقة الشاطبي ؛ شاغلتها مياه البحر فقررت التقرب منها بالجلوس مباشرة والنظر في أعماقها فانعكست امامها قصة شعرها الجديدة التي فعلتها أمس بعد العودة من المستشفى جلبت خصلة منه وتذكرت ذلك اللون التي أشارت عليها به نادية عندما شاهدته في إحدى المجلات الأوروبية أستفذتها زفرة هواء وصلت لمؤخرة رأسها وعند الالتفات لصانعها لم ترى سوى ظله

(أشتريت البحر مثلا!)

- إجتماع عاجل بعد نصف ساعة ،مستر ماجد غاصب جداً احد العملاء المهمين أوشك على ابطال عقدة مع الشركة

- هل تعرف الاسباب؟

- أكيد بدأ يمل من عروض الشركة .....من البضائع المستوردة أو ما شابه،اهم شئ يا جاستين تتصل بأخيك ليكون على الميعاد

يبدو أن الوضع متوتر ولاول مرة يسمع صوت مستر ماجد يخرج من مكتبه رفع چاستين الهاتف طالبا چون .

كان چون فى ذلك الوقت يغازل هجرية شارد شعرها تغير لونه خيوط الشمس فى كل طلة وهو يحدث نفسة

- اخيراً وقد ظهرت ما تناسب جمال هذا الخليج ثم سمع صوت الهاتف وهو يئن منفعلًا

- مَن على الهاتف؟

- هل أحد يعلم هاتف البيت غيري يا چون؟ ،أجمع تقارير أخر رحلة واحضر حالاً (ثم حدثه بصوت منخفض) مستر ماجد على النار

- ذاتها! وهل تقاريري الفارغة هى ما ستهدئه؟!

- فارغة ! ماذا كنت تفعل بمصر؟

- تذكرت شئ ساحكيه لك وتقرير قد نسيته عن صانع تحف خشبية من خردة ربما يكون مهم ساحضره معي

- إذ وجدت ورقة ملقاه بالية على الأرض أحضر بها من يعلم اى شئ يعجب!

وصل چون وهو يكمل ضبط ملابسه فوجد چاستين يأخذه من يده ويقف فى بهو حجرة الاجتماعات

- تناقص عدد العملاء المستوردين مننا الفترة الأخيرة وهذا ما الا نتيجة عن العروض الغير مجدية أو وجود شبيه لها فى الأسواق وربما التباطئ فى التعامل مع العملاء وعرض المنتجات عليهم قبل الغير كل هذا ربما يكون

محتمل لكن عندما تأتي واحدة من أكبر ورش الاخشاب المصنعة للاثاث وهي ورشة (زين) وتريد الانهاء الفوري للعقد فهذا يعني أن هذا المكان أوشك على الإغلاق هذا المكان ياسادة انظروا اليه وهو قائم الى اكثر من ثلاثون عام ويفتح اكثر من 100بيت لموظف شهرياً هل انتم مدركين!

جلس على كرسيه طالباً من لديه أي أقتراحات لإنقاذ الأزمة ومع أن چون كان خائف من لهيب مستر ماجد لكنه حاول تهدئته بقول:

- انا عندي إقتراح ،عندما كنت بمصر أسير بشوارع مصر وجدت ورشة فنية صغيرة لرجل يستعمل بعض الأخشاب القديمة وببعض المواد الكيميائية ويعيدها كما لو أنها صنعت في الوقت ويحفر عليها بعض المناظر الحية ليتم تركيبها على قطع الأثاث الصماء ،ومعي نماذج بسيطة منها

- الم تكن بمصر منذ فترة يا چون! ام ذهبت لرحلة خاصة بمفردك!

- لا لم اذهب الا مع رحلتة الشركة مستر ماجد

- ولماذا لم تحضر لي بذلك التقرير يا چون منذ عودتك ،ام تريدني أمُر على المكاتب اذكركم واترجاكم لارى التقاير،وبناءاً على ذلك أنت من تتولى المقابلة مع صاحبة تلك الشركة وتعرض عليها النماذج وتدبر معها عدم انهاء العقود بلباقة.

****

-ماذا كنت تفعل داخل الغرفة مع من يدعى العميد وماذا كنت تقول ؟..غبت كثيراً

- مصيبة

- !!!

- كنت أفعل مصيبة ...أخذتك من الميناء على مسؤليتي الشخصية ...علمتي ماذا كنت افعل؟

- الى اين ذاهب الآن؟

- مصيبة،مصيبة أخرى أضع نفسي بها وذاهب لأواجها بسببك الآن
- أتركني واذهب إذ كنت أسببلك المشاكل لهذة الدرجة
- أصمتي
-.....
-أعتذر ....ولكن هذا هو ما عليك فعله على الاقل الآن.

نزلا من الترام وابتعدت أميمة في السير عنه حتى صعدا سلالم منزله الضيقة وطرق باب والدته برفق يعلم أن الساعة مازالت الثانية عشر ظهراً بالرغم من كل الغوغاء التي مر بها من قبل الشروق

- حمد لله على السلامة ...لماذا لم تدخل مباشرة البيت ؟
- أُمي هل مفتاح شقة الطابق الاعلى قريب منك ؟

أمالت برأسها خارج الباب فوجدت أميمته بجانبه مما استدعى الاخيرة ان تبتعد عن الباب قليلا

- من هذه؟ معك ضيوف؟
- سأفهمك كل شئ أمي، فقط أريد المفتاح الان
- سأصعد انا معك ومعي المفتاح

كانت نظراتها تبعث القلق في نفس الاخرى وتضع لاجين في حرج أمامها

- تفضلي ،البيت ليس نظيف كفاية لم يبلغني لاجين بقدوم أحد
- نتركها يا أمي لترتاح وننزل نحن،اليس كذلك؟

ضحكت لها ضحكة باهتة

- خذي راحتك حبيبتي وإذ أردتي شئ قولي يا ست آثرة تجديني امامك
- من هذه؟ أريد أن أعرف وحالاً
- نتزل شقتنا يا أمي وأحكي لك ،أنتحدث بجانب الباب؟؛.....انا لو كنت اعرف كنت حكيت لك
- نعم!، جئت بها من الشارع ؟ أم ظهرت لك من البحر!

- بالظبط،التصور الثاني صحيح ظهرت لي ولم يوجد لديها عائلة أو أي أحد لتذهب اليه وكانت ستظل فى الميناء لحين يظهر أحد لها ،أترضي يا أمي بأن فتاة فى ذلك العمر تقضي الليل في الميناء؟!

- ولم أرضى أيضاً بأن تدخل الحارة ومعك فتاة في ذات العمر الذي تتحدث عنه وتسكن في شقة بمفردها بدون رجل فى منزل لم يسكن به سوى رجل أعزب وأمه

- أتركها بالشارع ! علمتيني بإن النساء يجب سترهم وبأي طريقة والآن أعمل بما علمتيني و أنتي تلغي ما عملتيني إياه

- لم أجد من عملك هذا غير المفاجآت.... ربنا يدبر لك الحال يا لاچين.

*****

التعليمات الصادرة من المضيفة بدأت بربط الأحزمة أستعداداً للهبوط نفذ چاك(رؤوف معالى) تلك التعليمات التقليدية حتى آت له ما هو غير تقليدي ؛ ظرف صغير وضع أمامة مصحوباً بإبتسامة من المضيفة التي أسرعت في مشيتها فلم يستطيع سؤالها عن مصدره ،فتح الظرف فإذ هو يحتوي على (سيستقبلك الآن ابراهيم هو أحد الأشخاص قصار القامة صورته مرفقة بالظرف تمعن بها ثم قطعها والقي بها فهو لم يرسل صورته ولا يجب أن يراها معك)

نظر حوله فلم يجد أحد؛ نظر أمامه ثم تذكر أن هذا فقط ما قبل المغامرة.

كانت البداية بإستقبال شخص بذات الهيئة ولكنة ليس مثل ما يعتاد على وجوههم فوجهه أملس لم يكن ذقنه طويل ولا شاربه ؛عيناه خضراوتين يتحدث بكل هدوء يكاد من يقف أمامه أن يعترف وبكل شئ ،تبادلا السلام وكان من الواضح أن هذا الابراهيم لم يحضر (رؤوف معالى) قديما فعمره لم يساوي نصف عمر رؤوف الحالي ،ركبا معاً سيارة قديمة متهالكة حتى وصلا إلي حيّ وبناية مماثلة لتلك السيارة وذلك بأحد مناطق القاهرة

كان البيت يتكون من عدد لا بأس به من الرجال الذين أستقبلوا رؤوف ربما اثنان فقط هم من يعرفون (رؤوف) وجها لوجه والاخرين يندمجون معه من بعض الحكاوي عنه ،وبمجرد ما أنتهى السلام وجد السفرة وقد أفترشت بما كان (چاك) يحرم منه في أوقات تدريبه فى بريطانيا فدمعت عيناه بمجرد مجئ ماريان في ذهنه فبرر ذلك بتعطشه لرائحة مصر.

***

أعتادت السكرتيرة على رؤيتها لعدة مرات حتى أصبحا كلا مالوفاً للاخر أُفسح الطريق لچيهان وأستقبلها المحامي

- كنت أعرف أنك ستاخذين خطوة سريعة وتأتي ثانياً

وضعت على المكتب امامه ملف مغلق

- الشهادة الطبية أخذتها منذ قليل أمضاها الدكتور وهو يرتعش عندما أمعن النظر في أسم صاحبها

-وكيف أمضاها؟

- وجدت أن عيون جميع الناس تلمع بمجرد رؤية تركواز الحياة الامواااال فمضى أمامها كما مضى غيره قبله هههه،تركت نسخة لوالدته ونسخه أرسلتها لأعمامه وسوف أنتظر مفعول دعواته اليّ هههه

- عصفورين قد ضُربوا

- نعم، ولكن متى سأنتهي من كل هذا؟!

-في القريب،أعدك في القريب ولكن الى أين ستذهبي الآن ؟الى المنزل بعدما أظهرتي كل شئ لوالدته ! هذة خطوة قمتي بفعلها قبل آوانها يا چيهان

- هل تأجيل الاوان لم يأتي به !(أشارت على حقيبتها)ها انا أجمعت كل ما لدى وتركتهم جميعاً

- لم تجبيني الي أين؟

- الى الطريق الذي يفتح لي،سابحث عن شقة صغيرة وسأصرف على نفقاتي من ثمن بيع بعض المجوهرات

- دعيني أفكر معك ...أعلم أن ما ساقوله لن يناسبك ولكن هذا هو الموجود في ذلك الوقت كنت أمتلك شقة ورثتها عن أبي رحمه الله وتركتها لأنها أصبحت لاتناسب معيشتي عيبها أنها في حيّ قديم مغلقة منذ أعوام لا أستطيع عدها تركت مفاتيحها هنا بخزينتي :أنتظري....ها هو المفتاح ..ستستطيعي الجلوس بمفردك يا أبنتي؟

- أفضل بكثير من عدم الأمان الذي يأتي من أقرب الناس ،واتمنى أن هذا الإحساس لن يأتي ثانياً أبدا

- هل تشكي في أمان أعطته انا لك؟! ولما ساعدتك من الاساس!

- الشك هو شعار الايام المقبلة ،أعذرني

- سأرسل معك أحد الي عنوان الشقة وأيام قليلة وسأرسل لك عليها ورقة إنهاء زواجك وجميع مستحقاتك أن شاء الله قريباً

- أتمنى أن ينتهي هذا الضباب سريعاً،أراك على وفاق دائم.

كان الخيار الأصعب في ترك المفتاح والسير الى المنتهى والبحث عن ما تلجأ إليه ورفض ذات اليد التي مدت إليها وبين الثقة في المجهول بعد أن فقدتها في أقرب الناس ،كانت نادية تنتظرها في السيارة حين سألتها

- ما بك چيهان هانم ؟! أحدث جديد؟

رفعت يدها لها بالمفتاح ثم ألقت بالورقة التي كُتب بداخلها العنوان

- تعرفي كيف نصل الى هذا؟

- ش ا ر ع شوكت أ ف ن دى ! يااه هذا بعيد جداً من هنا ،ما الذي يوجد به حتى نذهب اليه؟!

- سأعيش به يا نادية،چيهان أنتهى بها الأمر حتى تعيش بحارة ببيت قديم صدأ مفتاحه

- كل شئ سيمر،وانا معك سأظل حتى يرجع اليك حقك
- نااادية يكفيكي الى هذا الحد أن تهرولي معي.
- !!!

****

كان طلبها أن يأتي المندوب الى بيتها بذاته فهم المطالبين بعدم إنهاء العقود ومع أن ذلك منافي لمبادئ الشركة وأنهم ليسوا مندوبين للمبيعات ،ذهب چون خاصة عندما علم أن منزل صاحبة ورشة (زين) لايبتعد الكثير عن منزله ،أنتظر قليلًا حتى ظهر له أمرآتان أستقبلوه بالقهوة العربية ثم تحدثوا معه عن أسباب أنهائهم للعقود وقبل أن تكمل الكبيرة منهم الحديث قاطعها چون

- انا لم أحضر لاقناعكم بعدم إنهاء العقود ولكن بمإن العقود مازالت قائمة بيننا فجئت أعرض عليكم قسيمة بموجبها تتكلف الشركة نصف تكاليف الشحنة القادمة وهذا لأنكم أهم العملاء وأيضاً لأستكمال حضراتكم ال 5سنوات تعاقداً معنا

- عرض رائع وذكي ولكن ألديكم منتجات جديدة ليتم بها العرض؟

- من مراجعتي لما تستوردوا الفترة الأخيرة فإنكم لم تأخذوا أي منتجات من مصر مطلقاً وإن جميع المنتجات من بيروت والشام وبالصدفة وجدت بعض التحف الصغيرة في مصر التي تستخدم لتزين التحف الصماء فجئت لعرضها عليكم قبل أنتشارها فى الاسواق

كانت حليمة تنظر على البورتريه قبل وصوله إلى يدها تتذكر مثيل تلك الرسمة بالتفصيل كان يحب رياض الفهدين الذين أوشكوا على الهجوم كل واحداً منهم متحفز وكأن رياض يمثل نفسه وقرينه يتهجمان ليعيش واحداً منهم فقط

أخذت الكبيرة تتحسس تلك التحفة ثم وجهت الحديث لچون

- هذة من مصر! تعرف صانع تلك التحفة أو صاحب ورشتها؟
- هو رجل ليس معروف ورشته في حيّ صغير داخل مدينة ساحلية ولكن أشتهر في وقت قصير داخل مصر كلها وها ربما يصل صيته الى هنا
- هل بإمكاني رؤيته؟
- هذا يحدث بتواصل شخصي بينكم ولكن نحن كما تعلمين نوصل شحنات فقط وإذ طلبتي رؤيته فما علينا سوى أن نبلغه بذلك مع جواب الشحنة

نظرا كلاً من حليمة وام رياض بعضهما لبعض بعدما تأكد شعورهم من أن شعار رياض أفندى المدون على التحفة يخص رياض زوج وابن كلا من .

****

- ستظل تحملة هكذا ! انا لم أحمله سوى لارضاعة فقط يا يونس من وقت خروجي من المستشفى
- كلما وضعته من يدي شعرت بغربة وكأن ضلوعي خاوية

لم تفرح آمنه بمولودها في بادئ الأمر ولم تشعر كما شعر يونس بأن لا داعي لصمتهم الطويل وفزعتهم من ذلك الملاك كانت تبرر عدم تقبله وتغير مزاجها بتعبها ورغبتها في النوم الطويل مع ذلك لم يوجه يونس أي لوم لها لإيمانه أن تقبُل بعض الأوضاع مثل هذه أحياناً يكون صعب على بعض النفوس ،أصبحت تنجذب له من وقت للآخر تركز في ملامحه وتمعن النظر في عيناه المشروطتان وأفه الدقيق وثغره المبتسم دوماً

في الوقت الذي أنشغل فيه هذا البيت بالملاك المرسل تفاجئت چوليت بالجواب الجديد الذي أرسل إليهم من مصر توقعت أن هذه هي البلد العربية التي تحدث عنها چاك في آخر جواب له فحصت الظرف فوجدت سلسلة خشبية بإسم ماريان تراجعت عن قراءة ولو كلمة حتى تستطيع قراءتها أمام ماريان لاول مرة سلكت ذات الطريق ونظرت من ذات الثنايا

المطلة على الشارع الرئيسي حتى وصلت لماريان الكبيرة وأخذت بها ليجلسوا سوياً في حديقة الريحان

- هذة من چون إليك ...أضعها برقبتك ؟....سأقرأ لك ما في جوابه ...

*****

طرق الباب وأبتعد حتى تقوم بالفتح ثم أصدر حكة بسيطة لتعلم انة هو ،كانت تنتظر بالداخل حتى وصلت رائحة المسك مداعبة لأنفها فتتحت له بثوب قطيفة سيموني اللون

- جاهزة؟

- الم تراني!

- تصدقي ؛تجعليني دوماً أفكر في الجمل التي سأقولها قبل أن أتحدث معك بها

- الم تعتاد على طريقتي كل هذا الوقت هههه

- للاسف تعودت وأصبحت مثل الجرعات الوقائية والمحببة

- سنذهب لمدام روز؟

- ألم أبلغك منذ يومان!

- هههه تعلمت طريقتي في الرد وبكل سهولة

-تلميذك هههه،نعم مدام روز في انتظارنا لتراكي ،لا تقلقي العمل لديها ليس صعب هو مجرد تنسيق وهي امرأة جميلة وهادئة وتُقدر جميع الأشخاص اللذين يعملون معها

- أنت تعرفها جيداً؟ من أين؟

شرد قليلا يتذكر عندما كان يذهب لشراء الورد خصيصاً من هناك لانه يعلم انه المكان المفضل لچيهان وتعشق ورداتة وبذات الوقت يأخذ بعض المعلومات من روز عنها وانقطع عن الذهاب منذ أن خرج من بيت چودت

باشا وقرر الذهاب اليه هذة الايام خصيصاً من أجل أميمة يخشى من ما ستجلب له ورداته هذه المرة

- هذا هو محل روز .....أدخلي وعرفيها بنفسك

- الم تدخل معي ؟

- أخذت منها معاد لأجلك من قبل ؛ما ضرورة دخولي الأن!

كان يخشى وجودها أو لمح طرف فستانها حتى لا يبكي أمام ضعفه ثم انتظر قليلا وظهر من خلف أميمة ليواجه المشهد الذي كان خالي من وجودها المشتاق إليه دوماً ولكنه حزن عندما دخل ولم يجدها ،أبتسمت روز عندما قرر الدخول ثم نظرت لاميمة

- هذه أميمة !جميلة كما حكيت لي عنها بالظبط

رفع حاجباه أستعجاباً فهو لم يحكي شئ عنها سوى كلمات بسيطة عن أخلاقها وأمانتها فقط لتقبل بعملها لديها،قالت روز ذلك عندما شاهدت هدوء وجه أميمة وجمالها المختلف حتى توجة نظر كل منهما للاخر وخاصة أميمة حتى تخرج چهان من قلبه

- تعرفي ماذا ستفعلي؟

- أنظف الورد وأنسقه.. أم شئ أخر ؟!

- لا هذا الجمال لا ينظف، أنتي فقط ستنسقي بوكيهات الورد على زوقك حسب كل مناسبة لا أكثر

- جميل جداً

- مثلك حبيبتي ....والأن انا أريد شئ أضعه بالخارج مثيل لما سنصنعه لرأس السنة

قاطعهم لاچين:

- وبما أنكم أتفقتم سأذهب أنا ....ستعرفي كيف تعودين للمنزل؟

- أكيد

- ضحك على كونها لم تعترف بقول لا.

*****

كانت الرائحة مثل رائحة قبو مغطى تحت الارض أندفعت بوجه چيهان دفعة واحدة أنتظرت حتى خرجت تلك الرائحة من الشقة لتصبح قادرة على أستقبال رائحة جديدة ،رائحة الإنهيار التى ستصدرها هى معلنة وهاقد انتهى كل شئ ،أدخلت حقائبها بمساعدة نادية وجلست نصف واقفة على أحدهم ،بدأت تخلع خاتم يدها وطوق رقبتها حتى أستقروا فى كف يدها الذى مُد ناحية نادية

- ما هذا!

- خذيهم،خذيهم يا نادية ولو كانت الظروف تسمح لكنت أعطيتك المزيد،خذيهم وأذهبي الى أي مكان قبل أن يأتي أهلك من البلد وهم لم يكتفوا بما ترسليه إليهم من أموال ويطمعوا في المزيد فيقبضوا مقابل زواجك.

- أختلف الوضع يا هانم فأنتي الان تحتاجين الى كل مليم ....من أين ستنفقى ؟ من أين ستجعلي تلك الشقة صالحة للمعيشة؟ ،أشياء جديدة وكثيرة ستطرأ على حياتك

- أشياء جديدة طرأت من قبل ونحن لم نحسب لها يوماً وها ربما أصبح معنا طرف الخيط ،أتعتقدين أن ربنا لم يرسل لنا مراسيل لكل الباقية !

أغلقت نادية يد چيهان على ما تحتويه وأحكمت دمعة كادت أن تظهر

- انا الآن سأحاول تنظيف الشقة مع أنني أشعر بإن هذا مستحيل هههههه وبعد ذلك نتحدث فيما تريدي والى الصبح

كانت تتعلق بعض الدمعات ف عيون نادية مما يحدث لتلك الاميرة التي كانت تنظر لها وكأنها مستحيلة السقوط ،ذات الدموع أيضا كانتً فى عيون چيهان ولكن على شئ آخر

- نااادية تتذكري أول يوم بالسرايا لكِ؟

- لا أريد تذكره ،كانت نادية تتحدث وقد بدأت في رفع السجاد من الارض

- انا أتذكر وبكل تفصيلة ، كنت أجلس باكية في آخر غرفة الطعام بسبب تحطيم جميع العابي آثر مشاجرة حدثت بين چودت وشويكار وشعروا أن وجودي بينهم ليس له مكان خاصة مع وجود ما هو أهم مني من أتفاقات ومشاريع فألقى بي چودت في الارض محطماً العابي تحت أرجله في ذات اللحظة وجدت فتاة تكبرني قليلاً تقذف بها أمها (التي ترتدي جلباب أسود ورابطة رأس من ذات اللون) الى الحجرة التي كنت بها وتأمرها بجمع الأوان المتسخة وهى تبكي لا أريد أن أعمل هنا وتمسك بذيل جلباب أمها والأخرى تنهرها بقسوة جعلت من بكائي أضحوكة وشعرت بتفاهتي كانت هذه الفتاة انتي ياناادية أقتربت منك نظرت في عيناكي ونحن نبكيان سوياً ثم سئلتك عن أسمك فنظرتي على فستاني الابيض المذهب ثم أشحتي بوجهك بعيداً عني كنت أريد أن أقول لك أنتظري انا لست مثلهم هذا تشابه ف ثيابي فقط هههه ومرّت الايام لتتشابه قلوبنا معاً.

***

- رياااض أفندى ....يا أستاااذ رياض

كان أبي عصام يرفع صوته حتى يصل إلى ورشه رياض وهو يمسك بيده مظروف من التلغراف السريع جاء يحمل عنوان الورشة

- انتظر....سأنزل

- تلغراف يا رياض أفندى ....واضح أنك أصبحت عالمي وتأتي لك الجوابات باسم ورشتك

- تعيش يا حبيبي ..كم دفعت للساعي؟

أشار له أبي عصام بما يعني (لا عليك) ودخل إلى دكانه بينما صعد الآخر ليقرأ الجواب في هدوء ،بدأ يفتح التلغراف وهو واقفاً في البالكون حتى ظهر

ذلك الشعر الارجواني أمامه فى البالكون المواجه له وشعر بذات الذبذبات ولكنه اختفى سريعاً دون أن يدقق النظر في صاحبته،أتسعت عيناه عندما قرأ كمية الشحنة المطلوبه من ذلك الشاب(چون) الذي قابله في الفندق قبل أن يتركه بسبب الكوابيس الغريبة التي ظلت تلاحقه كان قد نسى ذلك الشاب وأستعوض ربه في بعض النماذج التى أعطاها اليه ليعرضها على الشركات ؛ أبتلع ريقه بدون أرادته حتى أصدر كحة غير مقصودة آثر ما رآه في نهاية الكلمات بإمضاء من الشركة المستوردة بإسم كلًا من حلمية وأمه !أزيل أسمه وورثوه وهو على قيد الحياه وأصبحت ورش (زين) والادارة لحليمة! ثم حدث نفسه قائلًا

- ماذا علىّ الآن ابيع تحفى لنفسى! وآخذ ثمنها ؟! ام هما اقنعوا ذاتهم أنهم أصحاب كل شئ !

كانت صاحبة الشعر الارجوانى (چيهان) تنظر على من يُحدث نفسة ثم أحرق ما كان يقرأه وألقى به وهو مشتعل بالاسفل ثم حدثت ذاتها هى الأخرى

- هل اصبح كل ما فى البلد هكذا ! أصبحت أخشى على نفسى

****

قرر عدم العودة إلى البيت مباشرة وأن يمر على روز ليطمئن على أميمته في عملها فأخذ علبة من الشوكولا مغلفة على الطريقة اليونانية متوجة بإسم فرنسي(ديليس) ،كانت اميمة مرتدية مريلة مزركشة على فستانها الأبيض البسيط حتى لا تفسده بتلات الورد الاحمر بالسقوط عليه أثناء تكوين بوكية لعرس ابنة أحد رجال الجالية الايطالية

- يا صباح الورد

- أنتهت رحلتك بهذة السرعة!

- نعم ،لانني لم أجد عروس بحر ثانية .....أين مدام روز؟

- بالداخل ....لاتتحدث معها كثيراً يظهر أنها ليست في حالة نفسية على ما يرام

سمعت روز بما حدث لچيهان من نادية قبل اختفاؤها هي الأخرى سمعت عن تركها بيت رقية هانم وتخليص ذاتها من ذلك الابله واختيار محامي لتنفذ ذلك الخلاص منه وانهالت القضايا على بيت رقية وأبنها وتدمير علاقتها بچودت

- لاچين،انت هنا منذ متى؟

- 10دقائق وانا واقف أمامك....حدث شئ ما!

- لا لا مشاكل بسيطة متعلة ببعض العملاء ،ما آخر اخبارك يا قبطان؟

- مازالتُ كما انا بين أمواج البحر

- لم يحدث شئ جديد في حياتك (والقت نظرة على أميمة)

- المراحل الانتقالية ليست بهذه السهولة

- ليست صعبة ولكنها تحتاج وقت ومدة و ذلك الوقت نحن المسؤولين عنه ....أميمة يكفي هذا عليك اليوم أحضري حقيبتك لتذهبي مع لاچين

- جميلة جدا أميمة يا لاجين

****

- لم تفكري في الذهاب الى المدرسة ثانياً؟

- الذين في مثل عمري أنتهوا من الدراسة من زمان يا لاچين ،انا نسيت حكاية التعليم

- مازلتي لم تقرري أن تحكي لي مَن الذي القى بك في البحر؟

- لماذا تصر على تذكيري بشئ جاهدت عقلي لنسيانه!

- كلما أستقرت الكلمات والمواقف في قاع العقل كلما أخذت مساحة من ذكرياتنا خروجها ككلمات مبعثرة فى الهواء يقلل من قيمتها

- أنتظر....ذهبت لإحدى بائعين عربات الجيلاتي وأخذت منهم أثنان وعادت له

- وتعزميني على جيلاتي! متى ستصبحين صاحبة أملاك هههه

- لا يوجد ما هو مستحيل

- هذا كلام روز!

- نعم،وهو حقيقي جداً أصبحت أمتلك وظيفة في يوم وليلة ومستقرة الى حد ما في بيت آمن

كانت تدخل بعض الخصلات في فمها من آثار هواء البحر فآتى بها لاجين خلف اذنها

- وما الخطوة التالية التي ستأخذيها؟

- لم أعتاد على تحضير شئ مسبق ولكنني أريد اخذ شقة فى حي ٍ آخر لاحظت أن والدتك تحتاج تلك الشقة لتأجيرها وانا من أشغلها الأن وأعوق سكنها

- أمى حنونة ولكنها لم تتقبل الحكاية والفكرة فى بادئ الامر ...تعرفين كانت تتمنى إنجاب بنت بدلا مني هههه وها قد جاءت لها.

****

زاد عدد الاشخاص عن الذي رأهم من قبل وبدأوا القدامى يعرفونه لبعض بإسم الزعيم (رؤوف معالي) ثم أنعقدت الجلسة الجادة وكان على رؤوف أن يترأسها هو ثم إطلاق القرارات الجديدة ومن سينول شرف تنفيذها .

بدأت الحكاية بقطعة أرض كان يريدون شراؤها لتصبح مقر جديد لهم تحت مسمى خيري وجاءت الموافقة من جميع الجهات ماعدا مسؤل كان يميل للجانب الأجنبي أكثر شيئاً فوافق لاحد الرعايا البريطانيين بأخذها دونهم مع أن هذا المسؤل بالاصل مصرى

عند بحثهم خلفه وجدوا أن معظم مشاريعه المالية تتم مع الجاليات الأجنبية مما أستدعى أحداهم أن يخرجه في إجتماع عام أن يحرجه مطلقاً

هذا السؤال "لماذا ترفض مساعدة رجال الدين في المشاريع الاقتصادية" فكانت إجابته صادمة لهم

- ما يعنيني هو اسم صاحب المشروع ونتائجه على جميع المواطنين ..التعامل مع الجهه الدينية يكون فى العالم الاخر

من مراقبتهم له عرفوا الكثير عن علاقاته بالنساء وما يفعله من صراع حتى داخل بيته والاضطراب الأخير الذي حدث بينه وبين أبنته وكان على رؤوف مسؤلية الخلاص منه فالخلاص منه سيفسح امامهم الطريق بالاخص امام أحد من رجالهم لينير الطريق الجديد وبالتالى إنهاء الملوكية وكان هذا المسؤل هو (چودت شاكر).

****

التاسعة صباحاً لم يكن ميعاد زيارة لسرايا چودت باشا لكنه كان الوقت المناسب الذي اختارته (رقية هانم) لإيقاف ما يحدث حيث قذفت من فتح لها بوابة الاستقبال جانباً وهي تسأله بتذمر أين چودت وشويكار وتلك الابنة الغبية سمع چودت ذلك الصياح وهو يجهز أستعداداً للذهاب الى مكتبه مما جعله يسرع قبل أن يمتد ذلك إلى آذان الخدم

- ما الذي يجري رقية هانم!

- اسأل ابنتك المصون التي تركت لي تلك الورقة وتركتها الى أخوات زوجي قبلي هذة الزيجة التي كنت أعتقد انها ستوطد املاكى هاهي تطيح بكل شئ

- لن افهم أي شئ ما الذي فعلته چيهان

- الم تقول لك أبنتك انها أخذت أبني بدون أذني الى مستشفى الأمراض العقلية وأستخرجت له تلك الشهادة لتطيح بنا ،ما فعلته انا لها لتفعل بي وبأبني كل هذا ،ناديها اليّ حتى أسئلها انا التي أجبرتها على الزواج أم انت؛ انت من أحق أنها تاذيه أذا أرادت

- چيهان ليست هنا ....

- حقيقي ليست هنا! ....كيف لا تسئل عن أبنتك ....أتعتقد أنني أصدق ذلك!

- أفعلي ما تشائين ....أبتي كانت داخل سراياكم وما يحدث من أختفاء وضرر لها في رقبتك رقية هانم

- ما المبلغ الذي دفعوه لك أخوات زوجي حتى تجعل أبنتك تستخرج لابني تلك الورقة يا چودت كنت أطلبه لي وكنت أعطيته لك

- مبلغ! أبيع نسبنا مقابل بعض الجنيهات.

-لقد بعتُ لحمك مقابل ذات الجنيهات من قبل ،أم لا تفعل! وكلنا نعلم ذلك ستظل شخص مادي تلهس وراء المال يا چودت.

****

كانت مكافئتها راتب يومان والعودة ساعة مبكراً لم ترفض الشق الثاني من المكافاة حتى وهي لم تعرف فيما تقضيها ثم وجدت قدماها تقودها لسوق ذنانيري لتختار نوع من الطعام وتطهوه للست آثرة شاكرة لها عما فعلته وأستافضتها لها في بيتها ،وقفت تختار كرات الطماطم الصغيرة (شيرى) وعيدان البسلاء الخضراء الصغيرة وقطعة لحم طلبت من بائعها عدم تقطيعها لتشويها ثم حملت كل ما أشترته واستقلت سيارة اجرة للعنوان ،لم تشعر بذلك الإحساس منذ زمن حرية الإختيار ؛ان تفتح حقيبة يدها وتخرج من مالها الخاص وتنفق دون خوف من حسابها على شئ ،السير بحرية ينقصها خوفاً وحيد تحاول نسيانه ،صعدت السلالم المتهالكة فشعرت أن باب آثرة ليس مغلق بأحكام طرقة طرقة بسيطة فلم يجيب أحد كانت قد ثقلت الاكياس على يدها ففضلت ووضعها بشقتها ثم الاطمئنان عليها

- أخيراً جئتي؟كنت أنتظرك يا أميمة

- ست آثرة! يوجد شئ لماذا تنتظريني بالشقة؟

- أنتظرك بشقتي

- لم أفهم،وما الذى بجانبك؟ هذة أغراضي!

كانت آثرة تقف في منتصف ردهة البيت فاتحة الباب على مصرعيه وقد جمعت الاغراض الخاصة بأميمة في اكياس وحقائب هزيلة بجانب الباب لحين عودتها

- نعم،أعذريني لم أعرف كيف كنتي تحبين جمعها ولكن عليك تنظيمها في شقة آخرى

- هل صدر مني شئ؟!

- لا لم يصدر ولم أسمح بشئ أن يصدر منك ولن أسمح بتقرب أبني منك أكثر من هذا الحد ،يكفي أعتقاد نساء الحيّ بإرتباط أبني بك وبدأوا يرفضون عرضي لبناتهم

ألقت الاخرى ماكانت تحمل من أكياس وأخذت باغراضها دون أن تنظر لها

****

في الوقت الذي كان فيه جميع الأشخاص تعد داخل منازلهم خمسة ....أربعة....ثلاااث.....آثناااااان....واااحد تحضيراً لمجئ العام الجديد 1952كان كلاً من چيهان ..رياض...حليمة....چوليت..چون...أميمة تملك منهم الشعور بالخلاص ...الفقد....الإجبار على كل ما أقروه ويقنعون أنفسهم بانه خيارهم وهو ما الا نتيجة لسلوك أحمق صدر من بعض الأشخاص ضد حياتهم في يوماً ما.....

بين وقت والآخر قد يكون يوم ....ساعة.... دقيقة تفصل بين عام والاخر وأحياناً تفصل بين حياتان لايتشابهان.

1952

أشعلت شمعة وخرجت بها للبالكون ربما تشعر وكأنها تحتفل مع الناس تذكرت البلونات التي كان يفرقعها الخدم ليتساقط منها العملات المعدنية والفضية الصغيرة ،هؤلاء في الشارع الأن يقذفون باكياس الماء فيقفذون الاطفال في الهواء ضاحكين عندما يصيبهم واحداً وتجذب أحداهن طفلها عندما يبدأ اللقاء الكؤوس الزجاجية بالشارع خوفاً من أصابته كانت تنظر لأوجه الناس فرحين فقط لأنهم سيغلقون النور ويشعلونه من جديد لم يمتلك أحداً منهم سيارة يقودها ويذهب إلي المسارح أو فندق من فنادق وسط البلد حتى يعود في الصباح وقد أبتدى عام جديد لكنهم سعداء وعندما نسئل لماذا هم سعداء ولم نجد إجابة تكون هي حقاً السعادة.

- مساء الخير

- مساء الخير

- كان رياض يقف بالبالكون المواجه لچيهان فقرب البيوت من بعضها فى ذلك الحى تجعل التواصل شئ مجبر،كان كلا من چيهان ورياض الوحيدين الذين يحتفلون بمجئ رأس السنة بمفردهم ،يتصدر الموقف صوت ام كلثوم الخارج من الراديو الذى يضعة على سور للبالكون و يشاركه فى الاحتفال والشمعة التى تنير بجانب چيهان فكلاً منهم ينير على طريقته الخاصة

- أنا لم ارى حضرتك من قبل...اليس كذلك؟!

- كنت سأسلك ذات السؤال ولكنك سبقتينى

أعتقدت چيهان أنه يدير الحديث حتى لا يجيبها ولكن هذا الوجه تذكرته چيهان مروره عليها يوماً ليس ببعيد ....أكمل رياض حديثه

- انتي جديدة في الحي اليس كذلك؟

- نعم، جئت من فترة ليست قصيرة

- عرفت عنك من (أبي عصام) ...لكن من الواضح انك لست من ساكني الحارات المجاورة

- هذا حقيقي أنا لست من هنا ،أنت أيضاً من الواضح عليك انك لست من هنا

- من الاردن....سمعتي عنها

- أكيد....وكنت أتمنى زيارتها يوماً.....ولكن ما الذي جعلك تأتي الى هنا ...عمل؟

- لاهجرة ....أردت إستكمال ما تبقى من عمري هنا

- اين هو عمرك ! لتتحدث عن الباقية منه ....اراك صغير بالسن

- بالسن ربما....ولكن اشعر بثقل روحي فجئت إلى بلد أسمع عن ناسها بالمداوون

- هههه

- لماذا تضحكين!

- لم أقصد.....ولكن ربما نرى كل ما هو بعيد جميل.

****

طلبتها ورفضتها ،صفعني عمي عندما قلت له حقيقته ، عندما قلت له انت لا تريد زواج ابنتك من زوج حقيقي حتي تعرف تستخدمها في جوازات الخدمه الميري،صفعني لاني كنت له مرائته واوقظت عقل چهان ،أعطيتها طاقه تتحدث بها وتثور علي طاعتها له

–أبني، ربيت جودت شاكر أخي منذ صغره أعرف كم يستغل من حوله للإستفادة منهم كيف يعامل الاشخاص كألاشياء كان في المدرسة يصادق الاذكياء ليعرف كيف يجلبون الدرجات ثم يبعد عنهم حتي يظهر ذاته علي الساحة منفرداً ،يلعب مع من لديه لعبة جديدة ولم أقدر انا علي شراؤها له ولا يلعب بها فقط بل أحياناً يكسرها حتى لا تظل في يد زميله مادام لا يستطيع أخذها هو ، وأبنته هي اللعبة الجديدة الذي لم يتعب في شراءها

فسهل عليه بيعها ويطمع بها مره أخري فيستردها ليبيعها ثانياً وأنت لم تقدر على شراؤها من الأساس.

-وعندما اردت انا اخذها من تجاره الرقيق الحضارية التي يصنعها (جودت شاكر) في قصره رفضتي انتي،اردت الآن أخذ ما وقعت امامي في عرض البحر ولازلتي ترفضين لم تباع ولن اجلعها تباع ولن اظل أأخذ اراء أشخاص ينظرون هل فعلي سيعود عليهم بنفع ام لا، تربي عمي جودت وانا ايضا علي يدك وكنتي تعملين فقط (قابلة) واحيانا تعتني بطيور حتي لم تكن ملكنا ونحن الاثنان الان في مقام ينظر له عاليه القوم ظاهريا ولكن ما في الانفس لا يراه غير الله خاطرت بحياتي في عرض البحر بوظيفتي اقود سفينة الناس بعد الله حتي ابتعد عن التعاملات المجهدة مع البشر واحتفظ بحياتي ولا احد يطلب تاريخك وعملك عندما يقابلني بل يعرفونه عندما ينظرون علي أكتافي ، أذن لماذا نبحث عن ما يرفعنا ونحن أعالي فى عقولنا،(أميمه) جوهره وستعرفين أن ما فعلتيه سيجعلني أقترب منها أكثر.

***

[كنت متكأه علي جانبي وركبتاي تلامس البلاط الذي يجمد الأطراف من شده برودته الذي كنت أتحملها في كل ليلة ، كنت أعتقد أن كلما تعذبت بقسوته وبرودته سيكافئني الله بأن يعلمها مكاني وتأتي لتمسك بمعصم يدي وتأخذني الي هناك ،الى ما كنت أرتاح فيه الي الشجره التي كنت اللعب أسفلها مع بنات واولاد حّينا الي جوار جارنا الذي كان يغضب من أصوات ركل أرجلنا ويخرج فنعتقد أنه خرج لنهرنا وما كان يراني غير ويعطيني بعض من ما تخبزه زوجته واشم رائحته كل صباح وأرسمه في مخيلتي من رائحته وكنت أميز ما يخبز بالسكر وما هو ماسخ لاسكر فيه وبعد ما أتذوقه يطلب مني الدعاء لزوجته بالقدره علي التحرك ثانياً ويقول لي أن الله سيتقبل مني الدعاء لأن الأطفال أحباب الله لم أحب وصفي بالأطفال ولكني أحب ام

عصام فادعي لها دوماً،ثار في عقلي لفتره أن كل امرأه تنجب تظل جالسه لم تتحرك لفتره من كثره ما أراه في حيّنا لمن يحدث لهم أخطاء طبيه بعد الانجاب فسألت أمي كيف لك تتحركين وتذهبين للسوق كل صباح بعد إنجابي وليس مثل حال جارتنا أم عصام لم تتحرك فأجابتني {لايكفيكي ماوصلت إليه بانجابك الشؤم من زياده في الوزن وموت والدك بعد تشريفك بعامين كنتي تريدين أصابتي في أعصاب قدماي في العمليه مثل أم عصام} لم أستوعب علاقتي بموت والدي ولا زياده حجمها ولكن فهمت أن زياده حجمها هو الذي يغضبها أكثر من موت والدي حيث دائماً تذكره اولاً.

مع قسوة الحديث؛الاحوال أحببت الرجوع الي كل هذا ،كل الذي كنت أراه طغيان وكل كلمة يلحقها علامه استفهام وأهاود ذاتي بإن سأفهم عندما أكبر كنت أسمع من البعض ذلك ؛سأفهم الكلمات...التصرفات...المعاملة القاسية،كنت أظهر اتظاهر أمامي بأنني المخطأة في كل القصص التي تدور وان الغلظه الموجهه هي حقاً عقاباً لي وأنهم يحبونني ،قطع تفكيري وأمنياتي سماع إحدى البنات اللاتي يقتسمون معي عنبر المبيت وهم يتحدثون بصوت منخفض مع زوج السيدة التي أستقبلتني في أول يوم وكان يظهر من صوتهم أنهم يتكلمون في أشياء غريبة ومعيبة تخوفت مما يفعلونه ثم سمعت مجئ أسمي من ضمن الكلمات كان يذكره ذلك الرجل ويطلب منهم أن أكون أنا مكانهم فيما يفعلوه في اليوم التالي مع ذلك الرجل وإذ استطاعوا إقناعي يكافئهم بتسريحهم لقضاء يوم بالخارج دون علم السيدة ما كان علىّ سوى الهروب وتركهم فيما يفعلونه حتى أستقرت قدماي عند الميناء فلم أجد ما أرتاح عليه سوى قارب صغير لملمت عبائتي وأحكمتها علىّ ودخلت بين أخشابه حتى ظهر خيط النهار ووجدته بي في عرض البحر يحمل صيادين ربما لم يروني فالقيت بنفسي أعتقاداً أنني سأصل للشط .....•]

-ماذا تفعلين يا أميمة

- لا شئ مدام روز ...كلما أشعر بضيق أكتب أي شئ يأتي بعقلي، علمني لاچين هذا

- لا تقلقي حبيبتي يظهر الصبح وسيأتي هو بذاته وياخذك

- وأنا لن أعود ..لا تعرفي الطريقة التي تحدثت بها أمه معي .

****

أحياناً يذهب أحدهم بجسده وعقله الى مكان يبعد به عن كل ماحدث وتجنباً كل ما سيحدث حتى ينطفأ حريق قلبه ؛ يبدأ حياة جديدة فيشتاق للآخرى ويريد الجمع بين الحياتين فيعود للصفر

أشتاقت چيهان الى حياتها الى نادية التي طلبت منها عدم الظهور حتى لا تصبح طرف الخيط الذي يوصلهم بها ؛الى السرايا ؛الى المدرسة وسارة وروز إلى تصرفات لاچين العفوية عندما يراها ؛الى الوردات الذى لم يعرف شكلها هذا الحيّ بأكمله ،ماالذي يحدث إذ أدارت محرك سيارتها وذهبت لكل منهما لماذا تخف وهم المذنبون ؟لإن المذنب على حق إذ يمتلك ما يخرسهم جميعا التركواز (الأموال).

أختلفت الأحوال في الأشهر القليلة أصبح رياض وجيهان على تعود في أن يرى كلاً منهم الآخر بعدما عرض عليها فى ذات ليلة مشاهدة تحف ورشته واهداها وردة منحوتة في الخشب مغطاة بالنحاس الصب صنعها بيده فأصبح مقرها منتصف ردهة الاستقبال الخاصة بچيهان ،عادت چيهان لوضع الشابو الاسود لاخفاء وجهها بعض الشئ حتى لا يتعرف عليها أحد و يشكل على حياتها خطر ،في بادئ الأيام اقترب رياض وچيهان سريعاً بحكم فراغ كلا منهم أصبحا مقصدهم واحد وزوقهم أيضاً خاصة في القهوة التركي التي بدأ بعزومتها عليها في مقهى منزوي قريب من الحارة بعدما تبين له عدم حبها للاماكن المعروفة والازدحام ؛لم يسألها عن شئ وهذا الذى شجعها

على الترحيب بصداقته الغير مجهدة أو طالبة لمبررات عن حياتها تركته يحكي دون مقاطعة الا عندما تذكرت شئ فسألتة:

- رأيتك فى ذات مرة تشعل النيران فى ورقة قرأتها ثم ألقيت بها مشتعلة حتى تخوفت على (ابى عصام) أن أجده مشتعل بالاسفل هههه لماذا كانت كل هذة العصبية

- انا! .... اه ،تذكرت ، هذا عندما علمت بتغير اسم شركتي بالاردن من قبل أمي فشعرت أنها نفذت خطتها بحكم قضائي ضدي وشعرت أن أعصابي تشتعل مثل تلك الورقة التي ألقيت بها

- لماذا لم تفكر في العودة وآخذ مستحقاتك جميعها والبعد عن أمك إلى الأبد ولكن وأنت منتصر

- أريد أن أفعل كل شئ ثم أعود اليها منتصر أخذت حقي منها أو لم أخذ وسيكون شعار (رياض أفندى) قائم وهو يطوف الوطن العربى كله

- مبدأ يحترم

أستمرت المقابلات بين البالكون والصدف المدبرة وإزالة الحواجز يوم بعد آخر ،اصبحت تعلم عنه الكثير الا ما أراد اخفاؤه (حليمة وزين) وأصبح هو لا يعرف عنها سوى (چيهان) ابنة أبوين توفاهم الله مثلما أعتبرتهم فجاءت للعيش بمفردها بعد أستحالة العيش لدى بعض الأقرباء .

*****

فشل فى محاولة إيجادها كما جعله منصبه غير قادر على البحث عنها أمام الناس ولكن ما أخفاه هو وشويكار هو ما أعلنته رقية هانم بل المزيد عن الحقيقة هددته بالايطاح بعمله اذ لم يعود لها أرضها وثمن مجوهرات ابنته الهاربة ،أنقطع جودت عن أجتماعات العامة خط سيره هو السرايا والمكتب ،أما شويكار فأحياناً تهم بالبحث عنها واحياناً تدعيها بالمختلة في غيابها حتى

تركت وصية بإخلاءها من ورثها بعد ما ضاع عقل چيهان في نظرها وتركها لكل شئ

****

رفضت النظر في وجهه بعد ما فعلته أمه بها أرادت البدأ من نقطة واضحة وهي العيش بمفردها بعيداً عن من يؤذيها

- لاچين أنا لم أحكي لك شئ عن حياتي ولا أريد ،أنا الوحيدة التي أشعر بالمهانة في كل خطوة أخطوها ومن جميع ما أقابلهم في حياتي أرهقني ذلك أريد أن أستيقظ مثل هؤلاء الأتي يظبطون تسريحاتهم ويضحكون ثم يأتي الليل يفكرون في فتى أحلامهم أنا يأتي الليل لافكر الي أين أذهب إذ ثقلت على من أعيش معهم أحسب النصف متر الذي أنام به على سرير أحداهم حتى لا أتخطاه فتنزعج في نومها حتى وجدت والدتك تلملم أغراضي وتلقي بي في الشارع أين كنت سأقضي ليلتي إذ جئت لمدام روز ووجدتها غالقة المحال وقد ذهبت تقدر تجيب عليّ ؟لهذا لا أريد الثقة في أحد مجدداً

- حتى لو زوجك؟

- حتى لو

- أستطعت إستئجار شقة بجوار الميناء شئتي أم أبيتي ستعيشي بها و الآن ....لا يوجد مكان آخر ...أعتبريها اخر محطة الثقة ....أستطعتي الثقة بكل الذي عرفتهم ولم انولها انا!

- سأدفع إيجارها أنت

- تعالي ونتفق في الطريق على أشياء كثيرة هههه

****

الأمطار تنهمر من كل اتجاه تتحول الارض الى رقعة ضاحلة فى ثوانى.

حدثت نفسها:

- هل الأمر زائد هذة المرة وهذه هي ما تسمى السيول! أم انا التي كنت تحت غطائي الفرائي الكثيف فلم أشعر بهول سقيع يناير ؛تضاربت أصوات الرعد مع طرقات الباب فغشيت الاولى على الثانية في بادئ الأمر ثم أدركتها فتتحت لتجد عصام يحمل بيده برواز ملفوف فعلمت مصدره ثم نظرت على هول الأمطار فطلبت منه أن ينتظر بالداخل إلى حين أنتهاؤها؛ أقتربت من البالكون وهي تفتح البرواز لتعلم رياض بوصوله اليها بعدما تأكدت انه يراها من الجهه المقابلة ولكن ما رأته جعلها تعود قرابة العام للخلف

{Tu m'épouses }

تلك الكلمة لم تكن موضع بهجة في قلبها بالرغم من تأكدها من انها ستقال يوماً ما في علاقتهم فهناك الخفايا التي لا يعرفها فهنا ورقة مطوية بحرس تخشى أن يراها أحد وهي ورقة إنهاء زواجها التي أخذتها بذاتها من المحامي خوفاً من تقع فى يد غريب عند إرسالها لها هل سيستوعب رياض جانب أنها ابنة چودت التي باتت تسمع الشائم عنه من كثرة أخذ حقوق العامة ام سيستوعب زواجها المزيف .

أنقلب وجه رياض وتراجع للخلف باللوحة التي رسمها وكان يريد إظهارها لها بعد إجابة وجهها بالموافقة على طلبه لكن نظرتها جمدت أطرافه ،هل عرفت شئ بشأن جوازه الذي مازال معلق ؟! وإذ لماذا لم تصارحه بل السؤال الأوضح من أين لها ان تعرف؟

أشارت له بالنزول ليتحدثا سوياً ؛أردت المعطف فوق فستانها وتقابلا في ذات المقهى التي حفظوا معالمها

- قرئتي ما ارسلته؟

- قرأت ولكن لم استوعب

-!!! كنت أعتقد إن حديثنا من قبل كان ينم عن ذلك

- كان ينم عن أشياء كثيرة متشابه وهو إحتياج كلا منا للآخر فى الاستماع ..صداقة..الجوار

- وإذ أجتمعا كل هذا ...ماذا يسمي!الزواج اليس كذلك

- اشعر بها وكأنها كلمة معقدة اذ تجعل كل اثنين اجتمعا على اى شئ أن يفعلا :الزواج من وجه نظرى هو الرغبة فى اللاشئ اثنان يريدان بعضهما ولم يعرفا لماذا

- وها احنا كذلك رئينا بعضنا اكثر من مرة قبل أن نصبح اصدقاء واجتمعنا على اللاشئ دون فرصة أو مصلحة عند احد منا لدى الآخر الفرق الوحيد هو طريقة نظرتك لأسباب اجتماعنا مع أن عندما انظر لها أجد اننا نقول ذات الكلام ولكن نبتديه من زوايا مختلفة

- هذا لم يعنى اننى ارفض ....ولكن أخشى السرعة فى اى شئ

- ما الذي سنفعله في وقت اكثر سوى أن تتعلق ببعضنا ! ثم يحدث الفتور ثم يحاول كل واحداً منا أن يجبر نفسه على التماسك حتى لا يشعر الآخر بانزلاقه أمامه هههه اليس كذلك

- هههههه وهو كذلك

أستمرا جلوسهم فى المقهى صامتين حتى أنتهت أصوات المطر وسمعا أصوات أنفاسهم.

مرّت الايام لتوافق موافقة رسمية على طلبه وبنفس الطريقة ولكن خانتها يدها أثناء النحت الذي تعلمته منه ،أشارت عليه بترك الورشة كمكاناً للمبيت وأن يصبح بيتها هو المكان الأوحد للمعيشة .

رفضت النوم بغرفتها فثقلت رأسها حتى غفلت على أحدى المقاعد فتحت عيناها لتراه يقف بعيداً منهمك في عمل شئ فى المطبخ

- رياااض،ماذا تفعل عندك

- شعرت بك أوشكتي على الاستيقاظ ففضلت الإسراع فى عمل شئ نأكله ....مازلتي تشعرين بألم ؟

- الي حد ما ...سيذهب بعد إطعامي ما تحضره انت ،على حق ماذا تحضر؟!

- بعض حبات البطاطس الصغيرة مغرغة ومحشاة باللحم المفروم وقطع الزبدة على وجهها يااه

- هذا فطار؟!

- وغداء حتى لا نحتار هههه

- أشهر قليلة وتعلمت فيهم جميع الاكلات من الجارات وانا لم أتعلم اى شئ

- بالحق ،مازلتي تري ضرورة لسفرنا الي الأردن ؟

- لا تنسي اننا لم نقضي شهر العسل سوى بالورشة من كثرة طلبياتك ،الم أمتلك حق السفر؟!

- هذا هو السبب؟

- لا، أريد أن ارى بلدك ،أريد العيش معك وانت تشعر بإن لا يوجد شخص يسلب منك شئ على الأقل أريد رؤية حياتك

- السابقة،حياتي السابقة وانتي من اخترتي ترك السابق جميعه

- على أي شئ نحن أتفقنا أن هذة الرحلة لإسعادنا وإذ وجدنا عكس ذلك سنعود وكأن شئ لم يكن،ويكفى النقاش لحد ذلك سأتاخر على موعد المكتب الذي سياكد لنا ميعاد السفر

- لم تتناولي شئ قبل الذهاب؟ (كان قد شرع فى وضع الفطور بينما چيهان أسرعت لتجهز اغراضها)

- إذ توقفت عن الحديث وأنهيت ما بيدك ربما سأجد ما أتناوله ههه

***

منذ تركه لبريطانيا هو يعلم أن القادم سيكون شاق بالنسبة له ولكن القتل !فلماذا هو بالتحديد ولما يرسلونه الى أشخاص هدافهم الاول الخلاص من الجالية البريطانية واعوانها حكومته تشجع على ذلك كيف! وتذكر قول أحد زمائله عندما قال له سترى الكل يضرب في البعض أما انت فما عليك سوى تنفيذ الأوامر حتى قتل نفسك بيدك ستنفذها ،حلق شاربه ولحيته فمنذ زمن لم يرى جاك نفسه منذ زمن لم يخلع ثوب رؤوف الذى مات منذ زمن ايضاً ربما أرتاح من ذلك العالم ربما أرتاح من ذنب مثل هذا الذى سيقوم به چاك باسمه

أرتدى بدلة الصيد وفحص مسدسه وهو يقسم لهم بالتنفيذ الشعار الأمثل لهم

- نحن الآن أرسلنا له و ابلغناه بعنوانها ما عليك سوى متابعته ،الله معك.

كان الهدف على أتم استعداد بالنسبة لهم فقد ارسلوا مظروف لجودت شاكر بعنوان چيهان وبعض الأكاذيب عن طريقة حياتها ومعيشتها وهم يعلمون أن طريق مثل هذا سيسلكه بمفردة دون حراسة وبهذا تتيح لهم الفرصة؛ فرصة الطريق وفرصة اشتهاء موتة من جميع الأطراف الذي سيحتار البعض كون خلاصه تم على يد من!

****

بدأ الهواء يحمل ذرات الرمال يقذف بها في انحاء الارض ليشتت شملها كل واحدة لا تشبه الثانيه فلما يجتمعا! أراد صنع ثورة في نفوس البعض؛ لم يجد من ينسجم مع تناغمه فأعلن عليهم العصيان.

انقلب المظروف قبل ان تصل اليه اليد ذات الساعه السوداء الغليظه وكأنه يعلم ان الاجواء ثائرة لا ينقصُها ما يحمله داخل طياته،مرّت اصابع تلك اليد علي الكلمات السوداء البارزة(ثالث بناية يساراًحاره شوكت افندي) خُطف المظروف بما فيه داخل قبضة يد صاحبه تلك الساعة

وأخُذت المفاتيح التي كانت ملقاة؛هرولت الاقدام علي سلم طويل مكسو بسجاد فخم حتي أن وصلت إلي سياره لاتختلف في مظهرها عن البناء الذي هبط منه ذلك الشخص ،اشار بيده للسائق الذي كان ينتظر علامة علي عدم الجلوس في المقعد الخاص بالقيادة ؛جلس والقى بما كان يقبضه علي المقعد المجاور و اختفت السياره امام الغبار الذي حدث بقوه تحركها ولم يظهر لها أثر ، أمام العنوان المذكور وقبل البناية المذكورة بقليل ظل العجوز يرقد داخل سيارتة يطفئ السيجار من نافذه السيارة يتمني لو أنه وصل إلي العنوان الخطأ أو أن حالفها الحظ فتقدمت وتأخر ولم يراها، ساعه كاملة يتمني ظهورها الآن أو اختفاؤها للابد ،بدأت قطرات المطر البسيطة وكأنها تسقط بترتيب مدبر علي زجاج السيارة فاصبحت الرؤية غاشية الي حد ما ، فتح الصندوق المقبو وتحسس ما بداخله ربما يحتاجه ربما يحتاج سلاحه عندما ترد عليه ردود غير شافيه له او مبرره لاختفاؤها بدأ الهواء يجس وجهه؛ سيجارته أشتعلت اكثر وبدأت في التأكل حتى كادت أن تحرق مابين أصبعيه، عيناه لاتفارق البناية المذكورة الي ان لمح طرف فستانها وكأنها تتردد في الخروج خرجت مسرعة والقت بنفسها داخل سيارتها الواقفه أمام المدخل وانطلقت سريعاً ما كان أمامه سوي ان يرفع مسدسه ويقود خلفها لعل يصيبها بطلقة من زجاج نافذتها ويكون ذلك رداً على السنه الكاملة السابقه ،بدأت چيهان التي لم تتعدى 18من عمرها أن تلاحظ ملازمة تلك السيارة لها وعندما تيقنت من هويه الشخص وتأكدت شكوكها حاولت الفرار بالقياده الملتوية والفرار في الازقة الجانبية وهي تضع يدها علي جانبها من الالم الذي تشعر به حتي وجدت نفسها تعبر من فوق ربوه عاليه وترتطم سيارتها من الجانب بصخره بعد تدحرجها وتتوقف ،لثواني شعرت بأنها نجت من الهبوط من اعلي الربوه لتموت بالطلقه التي تلاحقها الا أن ما وجدته جعلها تضع يدها علي موخرة رأسها من الصدمه

صوت طلق ناري يدوي من بعيد :زئير قوي لعجلات السياره الملحقة بها :سقوط مفاجئ في المنحدر المجاور وتهشم السيارة كل ذلك في أقل من 15 ثانية وهي تقف ناظرة إلي قاع المنحدر دون أن تطلق صرخة واحدة أفقدت صوابها فلم تعد قادره علي حمل جسدها الذى اللقت بة داخل سيارتها ثانياً فلم تعلم ما مصدر الطلقة التي أنهت به هل احد فعل ذلك لانقاذها ام تعاقب أخطاؤه فعلت به هكذا علي كل حال الارض لا تطيقني انا وجودت شاكر في نفس الزمان،نظرت حول المكان فلم تجد مصدر الرصاص أعتقدت أن هو من ضرب نفسه بعدما تراجع عن قتلها ثم سمعت قذفة ثانية في وقت متقارب ،تلك القذفة الثانية كانت إنهاء لحياة چاك على يد من يحركونه من الاساس بعدما انتهى من مهمته في مصر تلاحقت الصور :الأزمنة في عقله ،ماريان تصرخ عندما علمت ! هل ستسامحه ماريان الكبيرة بعدما أطاح بأولادها؟! چوليت هل أنتصرت برأيها الآن عندما قالت لي أحب الخبز الجاف ولا اقوى على المخاطرة بك ....وتوقف الزمن.

هل الإنتهاء والخلاص من مدمرين حياتُنا يعني صلاحُها!
لم تنتهي النتائج بعد
وللحياة بقية سيقودها أصحابُها

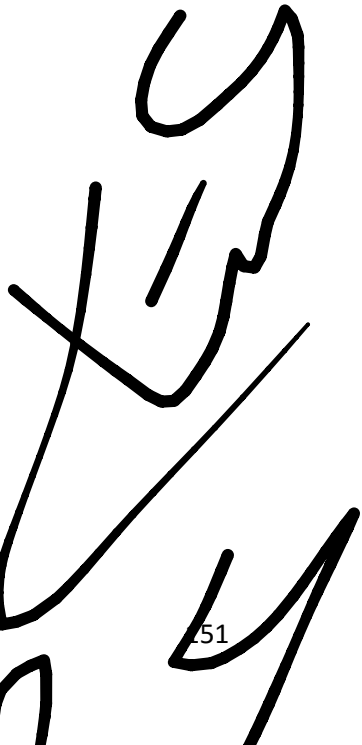

الكلمة بتفرق ،الثانية تفرق،التضحية بتفرق كونها بأيه وبمين،كلمة لا ونعم إذ قيلت في غير موضعها تفرق ويكون فرقها موجع ،المواقف التي يجب التحدث فيها وتغلق فمك لتترك آخرين يقومون بدورك وأرائك تفرق ،الثانية لا تعود أذ لم يأت عقلك بكل المواقف التي مرّت عليك وصمتُ وندمت على السكوت الأن فإنك غير آمين على حياتُك ، أمور وحلت عواقبها ليست ذنبك وأمور ستحدث بعد دقائق من قرائتك الآن فأجعل نفسك حكيم على عقلك أنت المفكر وأنت الصانع ، الظروف ليست هي المتحكة بك ،أرفض كل الأمور التي لا تلائمك ولا تقبلها كونها هي المتاحة ،مع كل صباح يتيح لنا أمور مختلفة نستنقي منها ما يلائم ويصفو لنا،فلنجعل حياتنا بما يرضينا ويجعل قلوبنا مضئية كمصباح ملح ثلجي يسعد بنقاؤه.

للتواصل مع الكاتبة

Facebook

صفحة كراميل مر - Cramel mor